من تراث المرحوم الشماس
جرجس صموئيل عازر

توافق العقائد الأرثوذكسية

قدسهم فى حقك . . كلامك هو حق
(يو ١٧ : ١٧)

مكتبة مارجرجس
١٧ شارع المستشفى شبرا مصر
تليفون ٩٤٣٢٤٣

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد . آمين

مقدمة المكتبة والناشر

لقد ترك لنا المرحوم الشماس جرجس صموئيل عازر عدة كتب عقائدية وكان لها الأثر الكبير فى نفوسنا ولقد علمنا وعرفنا عن أهمية العقيدة بأدلة ثابتة من الكتاب المقدس وأثبت للذين لا يهتموا بهذا التعليم والذين يقولون أن تعاليمهم من الكتاب المقدس وأما غيرهم من صناعتهم . لكن ماذا قالوا بعد هذا والأدلة ثابتة وما هى حجتهم ولكن الشيطان يعمل وينتج فى حقله لسقوط الكثيرين .

إنى أقدم أحد بحوث هذا الرجل ليكن نافعاً لناجحياً وليتهم يرجعوا إلى الأم — اذكر يابنى شريعة أمك واذكر من أين سقط وتب .

لعل الله يقبلنا إليه

موضوع الكتاب

يتعرض الكتاب لتسع موضوعات عقائدية مبيناً تضافرها وتوافقها العجيب على بعضها البعض ودون أن يهدم أحداها الاخر .

الموضوع الأول : إنبثاق الروح القدس .

« الثانى : طبيعة السيد المسيح

« الثالث : شفاعة السيد المسيح أو وساطته الكفارية

« الرابع : ضرورة الأعمال الصالحة مع الإيمان للخلاص .

« الخامس : عقيدة الإختيار .

« السادس : وجود الأسرار الكنسية .

« السابع : ضرورة العماد للخلاص .

« الثامن : ضرورة التناول من جسد ودم المسيح الحقيقيين للخلاص .

« التاسع : نزول السيد المسيح إلى الجحيم .

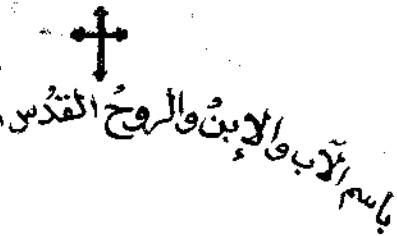

القراءات متى ٧ : ١٥ - ٢٨ احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة - من ثمارهم تعرفونهم ... لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة ... فاذاً من ثمارهم تعرفونهم ...

فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر . وكل من يسمع أقوال هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار ، وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً .

٢ بط ٣: ١٥ و١٦ واحسبوا أناة ربنا خلاصاً . كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له . كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة لفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كما فى باقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم .

أف ٢ : ١٩ ـ ٢٢ فلستم إذاً بعد غرباء ونزلا بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله مبنيين على الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلا مقدساً فى الرب الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً سكناً لله فى الروح .

٢ تى ٤ : ١ ـ ٥ أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح .:. أكرز بالكلمة أعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب ، وبخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم . لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم فيصرفون سامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات ، وأما أنت فاصح فى كل شىء احتمل المشقات اعمل عمل المبشر تمم خدمتك .

مقـــدمة :

أن موضوع هذا الكتاب غاية فى الأهمية والخطوره .. فهو عرض مختصر مركز لبعض العقائد المسيحية الهامة . . وسنرى فى هذا العرض متانة العقائد الأرثوذكسية وكيف أنها إذا جازت نيران النقد والبحث تخرج ذهباً حراً كريماً وإذا هبت عليها العواصف تظل عالية الرأس موفورة الكرامة ثابتة تشرف كل من ينتسب إليها ويحتمى فيها ويتمسك بها لأنها الحق المقدس المبنى على الصخر :

أن البشر أيها الأحياء سواء أكانوا أفراداً ماليين تضمهم هيئة واحدة أو كانوا تجاريين أو قانونيين أوصناعاً أو يشتغلون بالأمور الدينية ـ أو لجاناً مختصة فنية أو من أى نوع كان عندما يجتمعون ليضعوا قانوناً عاماً أو يقررون مبادىء يسيرون عليها ـ أول واجب يراعونه ، وأهم نقطة يلاحظونها بعناية أنهم لا يجعلون مواد هذا القانون تناقض بعضها البعض أى ما تقرره مادة منه تلغيه مادة أخرى ، بل

يجعلون المواد متماسكة المعانى ثابتة الأركان ، كل مادة منها تؤيد مضمون المادة الأخرى وتبنيها .

وهذه النقطة أو هذا التماسك بين أجزاء القانون وأبوابه ، هو أهم ما تجب مراعاته عند وضع القانون ليصبح أساساً يتبع ، وقاعدة يسار عليها ، وإذا لم يتوفر هذا التماسك فى قانون مارفض ورذله الخاص والعام ، وأصبح لا قيمة له ، ولا تعويل عليه .

لذلك عنيت الحكومات بإيجاد لجان تسمى اللجان التشريعية تمر عليها سائر القوانين عند وضعها قبل عرضها على البرلمانات لإقرارها أو قبل التصديق عليها عن السلطات العليا لتنفيذها فى الأمة .

وأهم ما تعمله هذه اللجان ليس فقط ملاحظة تماسك أجزاء القانون وارتباط مواده بعضها البعض فقط ، بل أيضاً تراعى أن يكون ذلك القانون غير هادم أو ناقض للقوانين الأخرى التى فى البلاد ، بحيث يصبح للبلاد كلها قوانين ، موادها متماسكة متوافقة ، وهى نفسها أى القوانين

متماسكة متوافقة مع بعضها الآخر حتى تساس البلاد بأحكام وقوانين لا غبار عليها أو مبادىء لا مطعن فيها .

هذا ما يجرى بين البشر أيها السادة ، ويراه البشر عيباً عظيماً ، وخطأ إجرامياً شديداً أن يضيع هذا التماسك بين مواد قوانينهم أو بين القوانين وبعضها . ومن يجرأ على التسبب فى فقدان هذا التماسك يقدمونه للمحاكمة ، أو قد يحكمون عليه بأقسى أنواع العقوبات .

ولكن ما رأيكم أيها السادة ، فى قانون الاعتقادات المسيحية والمبادىء الإنجيلية القانون الإلهى الرفيع المقام ـ سلمه السيد المسيح له المجد إلى رسله الكرام متماسك الإجزاء ، متوافق المواد . كل عقيدة فيه تبنى العقائد الأخرى وتؤيدها ، وهو يوافق كل الموافقة ويطابق بل ويكمل القانون الإلهى الأول ألا وهو العهد القديم ، كما قال السيد نفسه ولا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإنى الحق الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف

واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل (مت ٥: ١٧ و١٨ استلم الرسل والآباء بعدهم عقائد الكنيسة ومسائل الإيمان المسيحى سالمة من كل عيب لا تناقض فيها ولا تنافر: كل عقيدة فيها توافق النص الإلهى تمام الموافقة، وتؤيد غيرها من العقائد تأييداً كاملا، فكانت المسيحية واحدة فى إيمانها متماسكة متحدة ذات سطوة فى جذب النفوس وخلاصها

قال بولس الرسول لسان العطر فى رسالته إلى أفسس ص ٤: ١١ - ١٥ « وهو (أى السيد المسيح) أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين (لماذا كل هذا الترتيب يا بولس؟ قال) لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح(١) (إلى أى درجة يا بولس هذا العمل؟ قال) إلى أن ننتهى جميعاً إلى واحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح (لأى سبب يا بولس؟ هذه

(١) أى الكنيسة اف ٥: ٢٩: ٣٠

الوحدانية وهذه المعرفة وهذا الملء؟ قال) كى لا تكون فى ما بعد أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم (بأى سبب يحدث هذا يا بولس؟ قال) بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال، بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء إلى ذلك الذى هو الرأس المسيح.

كانت الكنيسة أو المسيحية فى كل الأرض بهذا الوضع الجميل القوى الذى دعى إليه بولس فى نفس هذا الاصحاح من العدد ١ - ٥ راجعه فى محله ولاحظ قوله: رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة ساعية فى خلاص النفوس الأمر الذى هو غاية الايمان كقول بطرس الرسول فى رسالته الأولى ص ١: ٩ « نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس، واستمرت على هذا الحال لمدة قرون بسيطة ثم نظر إليها عدو الخير الواقف لها بالمرصاد والذى فشل فى نيل مبتغاه بتحطيمها بما أثاره ضدها من اضطهادات الملوك الوثنيين. نظر إليها باحثا كيف يهزمها ويلاشى قوتها، فلم ير أسرع فى هزيمتها أكثر من ملاشاة وحدتها وإدخال

الانقسام عليها سواء فى سياستها أو عقائدها ولعله سمع قول
الرب يتلوه أحد الأشخاص « كل مملكة منقسمة على ذاتها
تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت
« مت ١٢ : ٢٥ فشرع فى تنفيذ الفكرة فبرزت عقائد
ومبادىء متنافره متضادة كل منها تهدم الأخرى رأساً على
عقب ، فتكون من العقائد المسيحية الجديدة بناء متداعى
الاركان ، متراخى الاطراف ، لا تواصل ولا تماسك بين
أجزائه ، بل كل جزء فى ذلك البناء يميل على الجزء الآخر
بضغط شديد مهدداً بالتحطيم والهدم أما بناء العقائد المسيحية
الأصلى ، ذلك البناء الذى أسسه رب المجد نفسه ونسج على
منواله الرسل الاطهار فقد ظل محفوظاً برعايته فى المستعمرات
التى كانت خاضعة سياسياً لرومية أو بعيدة عن سلطانها أى
فى الكنائس الأرثوذكسية متماسك الأجزاء متحدة
الأطراف كل جزء فيه يسند الآخر ويبنيه ويقويه . بحيث
أن الناظر إلى البنائين يرى فى البناء الأرثوذكسى توافقاً قوياً
جليلا عجيباً ويرى فى البناء الآخر أو الأبنية الاخرى تنافراً

شديداً يرى فى الأول توافقاً كاملا من ناحيتين : —

الأولى : توافق كلى مع نصوص الوحى المقدس

الثانية : « « « العقائد الأخرى لتبنى بعضها
البعض ويرى فى البناء الآخر تنافراً شديداً فى الناحيتين
أيضاً .

الأولى : تنافر كلى مع نصوص الوحى المقدس .

الثانية : « « مع العقائد الأخرى فتهدم بعضها
البعض .

* * *

والآن بعد هذا الإيضاح نعرض على حضراتكم بعض
غرف وأبنية هذين البنائين : أى بعض المواضيع العقائدية
الهامة ، كى تروا بعيونكم وتلمسوا بافهامكم وعقولكم
فى كل عقيدة منها الموافقين الكاملين فى المعتقد الأرثوذكسى
من ناحية الوحى ومن ناحية العقائد الأخرى وفى نفس
الوقت ترون بعيونكم وتلمسون بافهامكم وعقولكم

التنافرين الشديدين فى المعتقد غير الأرثوذكسى من ناحية الوحى ومن ناحية العقائد الأخرى .

ونوجه النظر إلى أن استعمال العقل فى ذلك هو لا كحكم أعلى وإنما ذلك يكون بالمقدار الذى صرح به الوحى سلطاناً للعقل فى الدين أى المقارنة والمقايسة كقول الرسول فى رسالته الأولى لكورنثوس الاصحاح ٢ : ١٣ « قارنين الروحيات فالروحانيات » حسب ترجمه بيروت و « تقاس الروحانيات للروحانيات » حسب طبعة وليم واطس سنة ١٨٦٦ المطابقة لنسخة روما المطبوعة سنة ٢٦٤ م ولمنفعة الكنائس الشرقية (وفى النسخة الانكليزية الملكية Comparing spiritual Things with spiritual

كما نوجه النظر إلى أن المواضيع التى ستتعرض جميعها متعلقة بأمور جوهرية جداً وهامة جداً فمنها ما هو متعلق بذات الله سبحانه وتعالى ومنها ما هو متعلق بخلاص النفوس الأمر الذى هو غاية الايمان كقول بطرس الرسول السالف

الذكر ، وأظنه ليس فى الدين شى أهم فى هذين الأمرين .

ولنبدأ الآن فى سرد هذه العقائد واحدة بعد الأخرى :

(أولا)

إنبثاق الروح القدس

— • —

موضوع هام جداً لإتصاله المباشر بذات الله سبحانه وتعالى ، بل هو جزء لا يتجزأ من عقيدة التثليث والتوحيد وهى رأس العقائد المسيحية جميعاً .

يقول البناء الأرثوذكسى — أى الكنيسة الأرثوذكسية « أن الروح القدس منبثق من الاب فقط » ويقول الكاثوليك والبروتستانت « أنه منبثق من الاب والابن معاً » .

ونلاحظ تاريخياً أن الكنيسة الرومانية أى الكاثوليكية ظلت إلى نحو سنة ألف ميلادية تعلم التعليم الصحيح كالكنيسة الارثوذكسية ، ومن بعد ذلك أدخلت هذه البدعة على

قانون الايمان « بالحقيقة نؤمن بأله واحد ،.. الخ » الذى وضعه المجمعان المقدسان المسكونيان الاول والثانى المنعقدان سنوات ٣٢٥ ، ٣٨١ ميلادية أى قبل إدخال البدعه بأكثر من ٦٠٠ سنة وهذه البدعة بزيادة لفظة «والابن» بعد النص « نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى الكل المنبثق من الاب » وسارت وبيتها الكنيسة البروتستانتية على هذه الزيادة . فهل كانت الكنيسة الرومانية على خطأ فى فهم المعلنات عن الذات الالهية زهاء ألف سنة ثم عرفت خطأها بعد ذلك ! ؟

وأول ما نلاحظ من الاتفاق والتنافر فى هذا الموضوع من جهة الوحى القدس هو : —

(١) نجد السيد له المجد يقول فى يوحنا ١٥ : ٢٦ « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الاب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لى » .

وحسب قواعد اللغة العربية المختصة بأدوات حصر الفعل بالفاعل كى لا يتخطى إلى سواه . (ومنها تقديم الجار على

المجرور وعلى الظرف ومعمول الفعل على ما فعله لغير موجب مثل قولك لله الأمر والتدابير ، وإياك نعبد وبك نحيا) نجد فى قول السيد « روح الحق الذى من عند الاب ينبثق » حسب الطبعة الكاثوليكية ووليم واطس والخ ما يدل دلالة قاطعة على حصر معنى الانبثاق من الاب فقط ، وعلاوة على ذلك قد أكثر السيد من ذكر الروح القدس فى أماكن كثيرة فلو كان انبثاقه منه إحدى الحقائق لما

---

(١) أن السيد المسيح آدم الثانى فهو له عروس واحدة كما كانت لآدم حواء واحدة ، ولو فتشت الكتاب المقدس من أوله لآخره لم ولن تجد له (أى المسيح) إلا عروساً واحدة فلم يذكر الكتاب أو يشير أن له أكثر من عروس واحدة وهذا الاب وحده (أى ادخال بدعة الانبثاق من من الابن على عقيدة الذات الآلهية التى لا تغير فيها ولا ظل دوران) دليل قاطع على انحراف هذه الكنيسة عن حجة الصواب الذى كان يتمسك به كما تسلسل إليها من الرسل واستمرت به زهاء ألف سنة .

أما من جهة التوافق والتنافر فى هذا الموضوع من ناحية اتصاله بالعقائد الأخرى فنقول :

(١) الاعتقاد بانبثاق الروح القدس من الاب والابن معاً فيه تنافر عظيم مع تسمية الاقنوم الاول بالاب لأنه ما دام الروح القدس ينبثق من الابن . والابن مولود من الاب إذاً أضبح الاب فى هذه الحالة بالنسبة إلى الروح القدس جداً(١) . فما أعظم هذا التنافر وأعيبه مع تسمية الاب بالاب فقط .

---

(١) قال أحد فلاسفة الاقباط الارثوذوكس ما معناه : أن الشريعة المسيحية بتسمية الاقنوم الاوم بالآب والاقنوم الثانى بالابن قد أعدمت الزمن أى أعدمت التفاوت الزمنى والجوهرى بين الاقانيم (إذهم متساوون فى الازلية والابدية) لان الاب العادى لا يسمى أباً إلا إذا كان له ابن به تستلزم تسميته بالاب ، وكذلك الابن العادى لا يسمى ابناً إلا إذا كان له أب به تستلزم تسميته بالابن ـ كل له روح موجودة ولكن على حسب العقيدة الخ اعتماً قدصار الاب أباً من ناحية وجداً =

أعرض عن ذكره ولو مرة واحدة .

وعذا (أى انبثاق الروح القدس من الاب فقط) يطابق ويوافق الاعتقاد الارثوذكسى بالنص موافقة دقيقة .

(٢) التنافر بين اعتقاد الخارجين والوحى واضح جداً من كون الاية التى ذكرت لم يرد فيها أن الروح القدس ينبثق من الابن اطلاقاً وكذلك لا يوجد فى كل الكتاب المقدس اية آية تقول أن الروح القدس ينبثق من الابن ، بل لا توجد آية أخرى عن الانبثاق إطلاقا غير الاية المذكورة كما دلت مراجعة الفهرست .

أما ما ورد فى هذه الاية أو غيرها منسوباً للابن فهو ان الابن يرسل الروح القدس وفرق كبير جداً بين الارسال والانبثاق ،

فالتلاميذ مثلا هم مرسلون من السيد المسيح له المجد ولكنهم ليسوا منبثقين منه تعالى ،

* * *

وكذلك يوجد فيه تنافر مع تسمية الاقنوم الثانى بالابن فقط لأنه إذا كان الروح القدس ينبثق من الابن ، فقد صار الابن والداً أو بمثابة الوالد للروح القدس إذاً وجبت تسمية الاقنوم الثانى ابناً بالنسبة الاب وتسميته أباً بالنسبة للروح القدس ، وما أعظم هذا التنافر والخلط فى أسماء الاقانيم وما أشد مخالفته لنصوص الوحى المقدس الشريف .

(٢) أما التوافق بين الاعتقاد بانبثاق الروح القدس من الاب وحده وبين تسمية الاقانيم فهذا واضح لا يحتاج إلى شرح لأننا نسمى الاقنوم الاول بالآب لأنه والد للابن وباثق للروح القدس ونسمى الاقنوم الثانى بالابن

= من ناحية أخرى — فبصفة الجد دخل مفهوم الزمن بين الاقانيم . طالع المادة ٧ من قانون الارثوذكسية لتفهم دوام الإتلاء ودوام الانبثاق من الازل وإلى الابد لأن الله لاتغيير فيه ولا ظل دوران يع ١ : ١٧ فهو الله تعالى لم يكن وقتاً ما والداً وباثقاً ثم بعد ذلك أصبح غير والد أو غير باثق او العكس بل هو دائم على هذا الحال منذ الأزل وإلى الابد .

لأنه مولود من الآب قبل كل الدهور وليس والداً للروح القدس ولا نخلط بين الإرسال والانبثاق كما لا نعرف الفرق بين كيفية الصدور من وحى الشمس لضوئها ولحرارتها إذ لكل منهما أسلوبه الخاص فى كيفية الصدور ، كذلك لكل منها (أى الولادة والانبثاق ، معنى مخصوص ولم يرد من الوحى أى آية تفيد وحدة المعنى بينهما .

ثانياً — طبيعة السيد المسيح

— ٥ —

موضوع هام لأنه يتعلق بشخصية مخلصنا :

تقول الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن السيد المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ولا يصح بعد اتحاد اللاهوت بالناسوت القول بالثنية (أى الأسنية) مطلقاً ، لأنه اتحاد كامل (لأن كل أعمال الله كاملة ، وكمال الاتحاد يوجب اتحاد الطبيعتين(١) إلى صيغة واحدة .

---

(٤) وكما أن الكلمة العادية عند تجسيمها بالصوت أو =

ويقول الخارجون عن الكنيسة أن للسيد المسيح طبيعتان ، ومشيئتان وأول ما نلاحظ من الاتفاق والتنافر فى هذا الموضوع هو : —

= بالكتابة على الورق لا يمكنك فصل معناها عن صوتها أو عن صورتها فصلا فعلياً بل بالفهم فقط . وفى هذه الحالة يصير الفهم مخالفاً للواقع لأن معناها مرتبط بصوتها أو بكتابتها ارتباطاً وثيقاً . فهى بمعناها وصوتها طبيعة واحدة شىء واحد كيان واحد .

هكذا الاله الكلمة ، إذ تجسد كالبشر صارا قنوماً واحداً طبيعة واحدة شيئاً واحداً الاتجاه ومشيئة واحدة فلا يصح أو يمكن أن يقال عنه « أقنومان أو طبيعتان أو مشيئتان » ولا تحتج بأنك تقول ذلك بالفهم فقط وأنت تعتقد من جهة الواقع والحادث نفسه بوحدة الطبيعة ووحدة الأقنوم .. والخ لأنه لا يجب أن يضاء الفهم ربالاعتقاد فلا تفهم اثنين وتعترف بالواحد وإلا فالفهم كاذب .

وبما أن جوهر الكلمة المادية هو فى معناها ، والمعنى هو =

(١) اتفاق الاعتقاد الأرثوذكسى مع الوحى واضح من قول السيد المسيح نفسه فى رؤ ١ : ١٧و١٨ بصيغة المتكلم « أنا هو الأول والآخر ، والحق وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الابدين آمين » وقال عن الرسول فى رؤ ٢ : ٨ بصيغة الغائب أيضا « هذا يقوله الأول والاخر الذى كان ميتاً فعاش أنا أعرف أعمالك ... » فلم يدل فى النصين

= الأصل ولا سبق من الصوت وهو الذى تجسم (بالمعنى الذى نعرفه من العقل ، بالصوت أو بالكتابة ، هكذا ندرك أن التعبير القائل بأن المسيح « آله قد تجسد أو المسيح آله متجسد أو الكلمة صار جسداً » هذا التعبير أمكن وتم فى إيضاح الواقع من القول « أن المسيح هو اله وانسان معاً طبيعة واحدة وان كان هذا لا خطأ فيه .

ولا فى غيرهما من الأثنين أو اللاهوت والناسوت . وقوله فى أع ٢٠ : ٢٨ « كنيسة الله التى اقتناها بدمه » ناسباً الدم إلى الله الذى هو روح ليس له لحم ولا دم (وهى بهذا النص فى جميع الترجمات : الطبعات الكاثوليكية والبروتستانتية والانكليزية الملكية والخ) هو برهان صريح جداً يدلنا على اتحاد الطبيعتين إلى وحدة لا يجوز القول معها بالاثنية .

ومن البديهيات المدركة لكل انسان أن الاتحاد فى الارادة والمشيئة أسهل من الاتحاد فى الذات والطبيعة ، فقد يمكن اتحاد المشيئة بين عشرين فرداً دون اتحادهم فى الثروات والطبائع . وما دام الاتحاد وقع كاملا فى طبيعة السيد له المجد فلا بد أيضاً أن يكون قد وقع بالمشيئة بالضرورة الحتمية .

نكتفى بما تقدم فى مجال هـــذا العرض العام المختصر بالنسبة لهذا الموضوع العويص ، ونقول بالاضافة إلى ما ذكر ، قد ثبت من الآيات السابقة بوجه قاطع أن السيد له المجد جل جلاله فى اتحاده الطبيعى الكامل هو طبيعة

واحدة ومشيئة واحدة فاذا كانت هناك آيات كتابية ترى فى معناها أنها متعارضة مع هـذه الوحدة الكاملة فمن الآيات نفسها ومجالها نستطيع أن نكشف عن القصد الالهى منها ، لأن كلام الله لا يمكن أن يتصادم أو يناقض بعضه بعضاً أبداً طبقاً للمبدأ الذى شرحناه فى مقدمة المحاضرة ، وهذا هو ما فعله الاباء القديسون .

فقالوا مثلا عن صلاته فى البستان وهو قادم على الموت الشنيع العائلة وهو يخاطب الاب « إن شئت أن تجيز عنى هذه الكاس ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك » لو ٢٢ : ٤٢ وهو القول الذى يظهر منه كأن للسيد المسيح إرادة خاصة غير إرادة الاب ـ ويظن الخارجون بسببه أن للرب إرادتان أو مشيئتان قال القديسون : أن هذه الأقوال تدبيرية من عند الرب كى يعلم بها البشرية ماذا يجب أن تفعله حينما تقع فى مثل هذه المواقف الحرجة الصعبة ، والأقوال التدبيرية التعليمية للبشر لا يمكن أن يؤخذ منها أدلة على حقيقة الحال

فى ذات الله المتجسد(١) .

(٢) التنافر فى معتقد الغير مع الوحى المقدس : أنك لا تجد الوحى مرة يتكلم عن السيد المسيح بالتثنية أبداً ، فلم يقل عن نفسه أنا وأنا ولم يقل نحن أو لاهوتى وناسوتى بل كان يقول عن نفسه دواماً « أنا » بالمفرد لا بالتثنية ولا بالجمع وقال عنه الرسول رب واحد .

• • •

أما فيما يختص بتوافق وتنافر هـذه العقيدة مع العقائد الأخرى فهذا واضح من : —

(١) إذا قلنا أن المسيح طبيعتان ومشيئتان منفصلتان

(١) من أراد التوسع فى هذا الموضوع فليقرأ « القول الصحيح فى آلام السيد المسيح المقدس بطرس السدمنتى أو الفصول الأخيرة من كتاب « إخفاء السيد المسيح للاهوته عن الشيطان للمؤلف — اللذين شملا أيضاً الاعتراضات والرد عليها .

ولم تصبحا طبيعة واحدة ومشيئة واحدة فيكون الذى مات عنا إنسان فقط ، لأن الله بطبعه لا يموت إذ اللاهوت متنزه عن الموت . وما دام الذى مات عنا إنسان فموته لا يكون نيابة عن كل البشر بل عن بشرى واحد فقط ، وهذا تناقض مع القول بامكانية الفداء للجنس البشرى كله .

(٢) أما التوافق عندنا نحن الأرثوذكس فاننا نقول بسبب وحدة الطبيعة ووحدة المشيئة أن الله قد مات عن البشر إذ قدم المسيح نفسه لله بروح أزلى كما يقول الرسول فى عب٩ : ١٤ وهو نفسه « الله ظهر فى الجسد » أو « الكلمة صار جسداً » ١ تى٣ : ١٦ ، يو١ : ١٤ وعليه فالنتيجة الحتمية المنطقية لذلك أن عملية الفداء تشمل كل الجنس البشرى بسبب هذه الوحدة الطبيعية بين الله الذى لا تحد والناسوت الذى ظهر فيه .

وما معنى الاتحاد إذا لم يكن مفهومه وقوع الوحدة الكاملة ؟ تلك الوحدة التى تسكن فيها عمومية شمول الفداء الذى جاء خصيصاً لأجله .

٣ — شفاعة السيد المسيح أو وساطته الكفارية

— • —

مقدمة .

تعريف الشفاعة أو الوساطة تعريفاً عاماً لا يختلف فيه اثنان هو «تداخل أو توسط ثالث بين شخصين أو طرفين أحدهما حقير والثاني عظيم لينال الحقير شيئاً من عند العظيم الذي هو قادر على أن يمنح الحقير الشيء المطلوب ويسمى ذلك الثالث أنه شفيع أو وسيط لتوسطه بين الاثنين» .

ويقول الأرثوذكس أنه لا توجد شفاعات ولا وساطات إلا شفاعة ووساطة واحدة هي شفاعة السيد المسيح وحده له المجد ، ولكن الكنيسة المقدسة تبعاً لنصوص الوحي الكثيرة للفظ « شفيع » بمعانيه المختلفة عن كيفية واسلوب الشفاعة تعتقد وتقول أن الشفاعة ثلاثة أنواع :

(الأول) خاص بالسيد المسيح له المجد وحده ولا

لا يشاركه فيها آخر إطلاقاً وتسميه الشفاعة الكفارية تبعاً لقول الرسول يوحنا في رسالته الأولى ص ٢ : ١ و ٢ هكذا « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ودليلها على أن هـــذه الشفاعة خاصة بالسيد المسيح وحده وهي عن تجسده وصلبه قول الرسول في ١ تي ٢ : ٥ « لأنه يوجد اله ، واحد ووسيط واحـد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع » فهذا القول وضح أن وساطة المسيح هي بتجسده لقوله الإنسان أي بتجسده الذي بذله على الصليب وبه كفر عن خطايا العالم فليس إذاً للسيد المسيح من ناحية لاهوته أي شفاعة ، لأن لاهوته له المجد هو بعينه لاهوت الآب والروح القدس ، لأن هؤلاء الثلاثة (أقانيم) هم واحد (في الجوهره ١ يو ٥ : ٧ فهو إذاً من ناحية لاهوته قابل الشفاعات والصلوات وليس يقوم بها .

(أما النوع الثانى) من الشفاعة فهو خاص بالروح القدس وحده الذى صار لنا أباً بالمعهاد (قارن يو ١ : ١٣ مع يو ٣ : ٥) وتسميه الكنيسة شفاعة الاعانة والتعضيد كقول الرسول فى رو ٨ : ٢٦ و ٢٧ « وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها ، ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » تأمل ما تحته خط لتعرف صواب الكنيسة فى عقيدة شفاعة الروح القدس وفى الاسم الذى أطلقته عليها .

(أما النوع الثالث) فهو خاص بشفاعة القديسين والملائكة وتسميه الكنيسة شفاعة الرجاء والطلب أو التوسل وليست نصوص الوحى عنها قاصرة على العهد القديم وحده كما يتصور البعض بل قد استعمل العهد الجديد ذات اللفظ اليونانى (الذى ترجم إلى العربية لفظ شفع عند الكلام عن نوعى الشفاعة السابقين) أى لفظ يتوسل يتضرع فى كثير

من المواقف(١) ولكننا نريد فى هذا حصر الكلام عن أهم الشفاعات أى الشفاعة الكفارية أى ذبيحة الصليب المجيدة فقط .

ولنا قبل ذلك ملحوظة هى : —

إن اصرار البروتستانت على أنه لا توجد غير شفاعة واحدة التى هى السيد المسيح له المجد فيه تنافر كلى وقضاء صريح مع الوحى المقدس الذى نص صراحة على ٣ شفاعات وعبر عن ذلك بذات اللفظ « شفع » وبالأخص العهد الجديد عن شفاعة الروح القدس ، ويقابل هذا ، التوافق الكلى بين الوحى والعقيدة الأرثوذكسية .

وليس بهذا الكتاب مجال الرد على افتراآت واعتراضات البروتستانت ضد شفاعة التوسل والرجاء التى القديسين

---

(١) راجع رسالة المحبة اكتوبر سنة ١٩٦١ ص ٢٤٤ للارشيديا كون الدكتور وهيب عطاالله (الإيبا إغريغوريوس أستف التعليم والابحاث العلمية) .

والملائكة ويطول الكلام جداً فى هذا العرض العام السريع لو أردنا أن نبين التوافق التام بين عقيدة شفاعة القديسين وبين العقائد الأخرى .

* * *

والآن بعد هذه المقدمة ندخل إلى الموضوع الأصلى المعنون به هذا الباب فنقول بإرشاد الروح القدس المرشد لجميع الحق : —

تقول الكنيسة الأرثوذكسية أن وساطة وشفاعة السيد المسيح قد تمت وكملت على عود الصليب ، وأن استحقاقاتها وثمراتها دائمة إلى الأبد ، وأنه على هذا الأساس الجوهرى يجب أن تفسر سائر الآيات التى تعبر عن المسيح كشفيع . فليس هو الآن متوسلا أمام أبيه أو سائلا من أجلنا شيئاً .

ولكن البروتستانت يقولون أن المسيح له المجد لا يزال الآن يشفع ويتوسل أمام أبيه وأنه سيظل كذلك إلى أن

يخلص جميع المختارين (اقرأ شرح الإيمان البروتستانت تأليف الدكتور أندراوس واطسن والدكتور إبراهيم سعيد ص ١٨١ — السؤالين ٤٤ و٤٥ وجوابهما) بل قال بعضهم عن السيد المسيح أنه يقدم بخوراً أمام الآب كأحد الملائكة أو القديسين (اقرأ صحايف ٤٨ و٩٤ و ٥٥ من تفسير البروتستانت لسفر الرؤيا المطبوع فى بيروت — ١٨٨٨) بل أننا نرى بأنفسنا الآن أن البروتستانت يستشفعون بالمسيح فعلا فى ختام صلواتهم كما يستشفع الأرثوذكس بالملائكة والقديسين(١) .

وما يلاحظ فى هذا الشأن من التوافق والتنافر مع الوحى المقدس هو ما يأتى : —

---

(١) مع أن الرب قال أن يكون الطلب باسمه فقط يو ١٤ : ١٣ ، ١٤ وراجع يو ١٦ : ٢٦ و ٢٧ بتأمل وفرق هائل جداً بين أن يكون الطلب باسم المسيح وبين أن نستشفع به للآب كأنه لا يملك هو نفسه أن يعطينا ما نسأله فتأمل !!!

(١) توافق المعتقد الأرثوذكسى بكمال ذبيحة الصليب مع الوحى وأنه لا توجد حاجة إلى تكملتها — هذا واضح من قول رب المجد نفسه فى نهاية الصلب « قد أكمل » عن النبوات المتعلقة بالذبيحة نفسها وبعد ذلك « نكس رأسه وأسلم الروح » يو ١٩ : ٣٠ . وهذا يطابق سابقة قوله فى صلاته الأخيرة مخاطباً الآب « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته يو ١٧ : ٤ وفى نهاية هذه الصلاة خرج السيد مع تلاميذه إلى البستان يو ١٨ : ١ حيث قبض عليه وبدأت المحاكمة والصلب ... الخ .

حقاً لقد تم العمل كاملا من ناحية السيد كخطابه الآب ، تم بطريق سرى غير منظور كما شاءت قدرته الالهية التى لا يقف أمامها حائل أو مانع ، ولم يبق إلا إتمام الوجه المنظور لا من ناحيته هو بل من ناحية اليهود الملاعين لأنه قبل هذه الصلاة بقليل اى فى مساء الخميس أعطى تلاميذه الخبز قائلا كلوا جسدى المكسور لأجلكم والخمر قائلا اشربوا

دمى المسفوك لأجلكم(١) .

ونجسده أيضاً بعد قيامته المجيدة والتمام النهائى للعمل بوجهيه السرى والمنظور وبعد أن أكد لهم قيامته ولاهوته وفتح افهامهم لفهم الكتب و . و . الخ قال قبيل صعوده مباشرة « دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » مت ٢٨ : ١٨ وقارنه مع مر ١٦ : ١٤ — ١٩ وبالأخص ١٩ ، ونفهم من هذا أن من بيده كل سلطان فى السماء وعلى الأرض لا يسأل أو يشفع لدى الآب بل يعطينا مباشرة كما قال هو عن نفسه فى يو ١٦ : ٢٦ « فى ذلك اليوم تطلبون بأسمى ولست أقول لكم أنى اسأل الآب من أجلكم » فهو لا يسأل الآب قال بولس الرسول لسان العطر فى

(١) لاحظ أنه لم يقل الذى سيكسر أو سيسفك لإجلكم بل المكسور والمسفوك أى أن الضحية تمت (فعلا بوجه سرى) قبل الصلب وإلا ما كانت تصلح للأكل لقول القديس غريغوريوس .

عب ٧ : ٢٦ و ٢٧ « لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه ثم يقول بعد هذا أنه جلس فى يمين عرش العظمة» عب ٨ : ١

(٢) أما من جهة تنافر العقائد الأخرى مع الوحى المقدس فهذا واضح من قوله من عب ٥ : ٧ « الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وليتكلم عما حدث ناسوتياً ونفسياً فى بستان جثيمانى ، وسمع له من أجل تقواه مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى يدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق(١) » .

---

(١) ومن قوله عن السيد المسيح أنه رئيس كهنة على =

فمن قوله كمل ومن قوله صار لجميع الطائعين سبب خلاص أبدى نفهم خطأ العقيدة البروتستانتية القائلة أنه لايزال يشفع ويتوسل وأنه سيظل كذلك حتى يخلص المختارين .

* * *

= رتبة ملكى صادق (أوطقس ملكى صادق كالترجمات القديمة والأدق بخلاف الترجمات الحديثة البروتستانتية التى تريد إبهام البسطاء بعدم وجود طقوس فى المسيحية ، وقد اتهم البروتستانت بهذا التغيير الذى أحدثوه فى الآية تلك ١٤ ، ١٨ الآتية بعد حذف اللام السببية والاتهام قائم على أسانيد لاتدحض ومن أراد معرفتها فليقرأ المشكلة الثانية من الباب الخامس بكتاب الافخارستيا) فمن قوله عن السيد المسيح أنه رئيس كهنة على طقس ملكى صادق ومن قول الرسول نفسه ـ عب ٨ : ٣ و ٤ عن ضرورة وجود شىء يقدمه هذا الرئيس ، ومن رجوعنا إلى ملكى صادق هذا فى تلك ١٨ : ١٤ حيث تقول الترجمة الصحيحة « وملكى صادق ملك سالم أخرج خبزاً وخمراً =

هذا من جهة الوحى أما من جهة اتصال هذه العقيدة بالعقائد الأخرى فنقول :

لأنه كان حبراً (أو كاهناً) لله العلى وكذلك الهامش السفلى فى الطبعة الأمريكية المشهودة تقول « وملكى صادق ملك سالم ، أخرج خبزاً وخمراً إذ كان كاهناً لله العلى فسواء ذكرت اللام السببية أو إذ النتيجية فواضح منهما أن كهنوت ملكى صادق طقسه قائم بتقديم هاتين المادتين .

ومن كل ما تقدم نفهم جلاء أن الوحى يتكلم صراحة عن كهنوت السيد المسيح لرئيس كهنة وأنه قائم بتقديم هاتين المادتين إلى الأبد كوعده بالمزمور ١١٠ : ٤

ومن حيث انه رئيس كهنة فلا بد أن يكون له كهنة مرؤوسين تابعون يقدمون ذات الذبيحه بذات الطقس وإلا ما كان يمكن ان يسمى رئيس كهنة » . وما هى إلا الكهنة المسيحيون فى الكنائس الرسولية يقدمون ذات ذبيحة الصليب التى قدمها ولكن ليس على الطقس أو النظام الدموى كهرون حب ٧ : ١١ بل على طقس ملكى صادق أى بالخبز والخمر —

(١) الاعتقاد الأرثوذكسى يؤيد كمال ذبيحة الصليب ، يؤيدها ويؤيد منها مساواة الابن لأبيه فى الجوهر والكرامة

= راجع بدقة يو ٦ : ٥١ تلك تدعى الكنيسة سر القربان ذبيحة غير دموية .

من كل هذا نجد الدليل الصريح على جود الكهنوت المسيحى الذى هو توكيل كهنوت السيد المسيح نفسه إذهم يقدمون ذات تقدمته لا من أنفسهم بل بأعتبارهم وكلاء سرائر الله كقول بولس « فليحسبنا لإنسان كخدام المسيح ، ووكلاء سرائر الله » ١ كو ٤ : ١ وكقوله فى رو ١٥ : ١٦ عن نفسه « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الامم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الامم مقبولا مقدساً بالروح القدس » .

وفى كل هذا مع عدم إعتراف البروتستانت بالكهنوت المسيحى فنجد التنافر والتصادم بين عقيدتهم (عن الكهنوت والذبيحة وطقس كهنوت السيد المسيح) قائماً صريحاً وعظيماً . ونجد التوافق الكلى فى العقيدة الأرثوذكسية مع الوحى المقدس :

والأزلية والقدرة و. الخ، وهذه المساواة هى عقيدة هامة وأساسية جدا فى الديانة المسيحية .

(٣) أما عقيدة البروتستانت فتتناقض مع عقيدة كمال الذبيحة الصليبية إذ هى فى نظرهم ناقصة ما زالت فى حاجة إلى تكملتها بما يؤديه المسيح له المجد فى السماء، وكذلك تتناقض مع العقيدة بمساواة الأبن لأبيه فى الجوهر والكرامة والأزلية والقدرة . . الخ إذ تجعله أقل من أبيه ملتمساً منه كالذى لايملك أن يعطينا، وهذا خطأ كبير .

وكذلك من الخطأ أن ننسب إلى القديسين والملائكة شفاعة كفارية لأن خلاصنا(١) هو بالمسيح وحده بشفاعته

---

(١) لا يوجد شخص أرثوذكسى مهما كان بسيطاً أو غبياً يعتقد أن الخلاص هو بغير المسيح أو أنه بواسطة العذراء مريم أو مارجرجس أو أى قديس أو ملاك يستشفع به شفاعة الرجاء والطلب وإذا سمعت أو رأيت شخصاً قال خلصينى يا عذراء أو يا مارجرجس أو يا ملاك الله فهو يقصد =

الكفارية ذات الآثار الدائمة فى كنيسته الحقيقية التى تمت مرة واحدة، وهو على الأرض وتمت فى درجة الكمال منذ نحو ألفى سنه فليس هو الآن واقفاً يصلى كما يزعم البروتستانت وإنما هو جالس هن يمين القدرة كما رآه اسطفانوس اع ٧

= الخلاص من ورطة مادية وقع فيها وحتى لو قصد الخلاص الأساسى فهو يدعوهم لا إعتبارهم ما نجد هذا الخلاص ، بل بواسطة رجاء لدى الرب يسوع لمنحه هذا الخلاص بقول الرسول فى ١ كو ٩ : ٢٢ .

« صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوماً » بمعنى لا كون سبباً أو واسطة لى لخلاص قوم ، وكقوله أيضاً فى رو ١١ : ١٤ « لعلى أغير انسبائى وأخلص أناساً منهم » (وهنا نجد الرد على نشره بروتستانية عنوانها « هل نخلص بالكنيسة » والمقصود منها أن الكنيسة - أى الكنيسة الأرثوذكسية - لا تخلص لإنسان ، =

ولو كان البروتستانت يعتقدون حقاً فى المسيح أنه الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس وأنه قائم فى ذات الله وجوهره ما كانوا ينسبون إليه ماتقدم كأنه أقل من أبيه وروح قدسه بعد أن دخل إلى مجده لو ٢٤: ٢٦ ، ١ بط ١: ١١ الذى كان له قبل التجسد فلم يعد أبيه أعظم منه كما كان ذلك ظاهراً للبشر وواقعاً فى فترة التجسد التى قال عنها وفيها أبى أعظم منى يو ١٤: ١٨

= بل الخلاص بالمسيح وحده فنقول نعم الكنيسة تخلص بنفس المعنى المتكرر من بولس الرسول فى الايات المذكورة ، لأنها تلدنا الولادة الثانية وتعطينا الأسرار الضرورية للخلاص على الأساس الراسخ الوحيد وهو الإيمان بالمسيح وبذبيحته الخلاصية الكاملة)

وحدث معى ذات مرة أن أحد أصدقائى البروتستانت قال لى أن كنيسة الأقباط ليست كنسة خلاصية بمعنى أنها لاتذكر المسيح كمصدر خلاص فدعوته للصلاة فى الأحد القادم وأن يكون مكانه مجاوراً لى لنعد معاً المرات التى يذكر فيها المسيح المخلص ، وحضر فعلا وعددنا المرات المذكورة فاذا هى كثيرة جداً فتعجب

٤ ـ ضرورة الأعمال الصالحة مع الإيمان للخلاص

— ٥ —

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية أن الأعمال الصالحة (ظاهرياً وباطنياً أيضاً ١بط ١: ٢٢) ضرورية مع الإيمان للخلاص[1] ولكن الخارجون عن الكنائس الرسولية يقولون أن الإيمان وحده كاف للخلاص ، فيتمسكون بالنصف الأول

(١) واضح جداً أنه ليس معنى ذلك والاعتماد فى الخلاص على البر الذاتى ، كما يحاول البعض تشويه العقائد الارثوذكسية للطعن فيها متخذين مثل الفريسى والعشار الذى ضربه السيد فى لو ١٨ للتدليل على أفوالهم إذ الكنيسة تعتبر الاعتماد على البر الذاتى أخطر درجات السقوط (وتدعوها ضربة شيطانية يمينية أى شديدة) منادية دائماً بقول رب المجد الوارد فى لو ١٧: ١٠ « هكذا أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا أننا عبيد بطالون لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » ومحتمة ضرورة تأدية كل الاعمال مصحوبة بالتواضع الكلى الذى هو بطبيعته ضد الاعتماد أو الفخر بالبر الذاتى أو بالاعمال الصالحة .

من الآية الأولى من الإصحاح الثامن برسالة رومية وهو « إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » تاركين النصف الثانى من ذات الآية وهو « السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » الذى يتضمن الأشارة الصريحة إلى ضرورة الأعمال الصالحة .

أما أوجه الاتفاق والتنافر فى هذا الموضوع مع الوحى المقدس فهى : —

(١) توافق الاعتقاد الأرثوذكسى مع الوحى واضح من قول الرسول فى ٢ كو ٥ : ١٠ « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ماكان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » وقوله فى رؤ ٢٠ : ١٢ و١٣ عن يوم الدينونة « ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحيوة ودين الأموات فما هو مكتوب فى الأسفار حسب أعمالهم ، وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الذين

فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله » .

وحادث الغنى ولعازر الذى ضربه السيد المسيح مثلا واقعياً فى لو ١٦ : ١٩ — ٣١ لم يذكر الرب للغنى خطية ضد أى وصيه من الوصايا العشر كالقتل والزنا والسرقة وعبادة الأصنام ... والخ بل كل ما يفهم عن سلوكه أنه كان مغرقاً فى تنفيذ مطالب الجسد وأهمل فى عمل الخير للعازر المسكين الذى كان يراه كل يوم مرات مطروحاً أمام باب داره فاهماله فى عمل الخير للعازر مع إغراقه فى الجسديات رو ٨ : ٦ و ٨ ، يع ٤ : ٤ وأمثالهما كثير كان سبب هلاكه فى الجحيم .

(٢) تنافر المعتقدات الأخرى مع الوحى المقدس واضح من قوله فى غلاه : ٦ « لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » تأمل هنا كيف وصف الايمان المطلوب من المسيحى أنه الايمان العامل المنتج أعمالا صالحة بالرغبة الصادقة بالمحبة .

وأيضاً قال بطرس الرسول فى رسالته الثانية الأصحاح الأول ع ١ هكذا واجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتين بالأعمال الصالحة » . وقد حذف البروتستانت فى طبعاتهم العادية كلمة « بالأعمال الصالحة » ولكنها ثابتة فى الترجمات القديمة كلها وهم أيضاً أثبتوها فى الهامش السفلى فى الطبعة المشوهدة الكبيرة الغالية الثمن التى لا يقتنيها إلا القلائل .

وأيضاً قال يعقوب الرسول فى رسالته ٢ : ١٤ الخ « ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال (مثل عقيدة الخارجين) هل يقدر الايمان أن يخلصه . ان كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى ، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم يعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة . هكذا الايمان أيضاً ان لم يكن له أعمال ميت فى ذاته . لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال . ارنى إيمانك بدون أعمالك ، وأنا

أريك بأعمالى إيمانى ، أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل ، والشياطين (أى الذين ليس لهم أعمال صالحة) يؤمنون مقشعرون ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت ، ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال إذا قدم اسحق ابنه على المذبح . فترى أن الايمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الايمان . وتم الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله . ترون إذاً أنه بالاعمال يتبرر الإنسان لا بالايمان وحده كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر ، لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الايمان أيضاً بدون أعمال ميت » ما أقوى هذه الآيات فى الدلالة على صحة العقيدة الإرثوذكسية ، وبطلان العقائد الأخرى تأمل ما تحته خط .

* * *

أما الاتفاق والتنافر فى هذه العقيدة مع العقائد والمبادىء الأخرى فواضح بما يأتى :

(١) الله قدوس وأولاده يجب أن يكونوا قديسين . قال بطرس الرسول فى الأصحاح الأول من رسالته الأولى ع ١٥ ، ١٦ « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » وهكذا المكتوب هو فى لا ١٩ : ٢ فعابدوا الله لا فى المسيحية وحدها ، بل اليهودية قبلها أى عصر الظل والرموز المشيرة إلى مجد المسيحية (عب ٩ : ٨ ، عب ١٠ : ١ وأمثالها كثيرة) مطلوب منهم أن يكونوا قديسين . أفلا يخجل البروتستانت المسيحيون من قولهم بعدم ضرورة الأعمال الصالحة للخلاص ؟ وأليس هذا التعليم هو من زرع ابليس الذى لا يريد ثباتهم فى الدعوة المسيحية ؟ بالتأكيد هو منه

والله أيضا كامل ومطلوب من أولاده أن يعملوا جهدهم لأن يكونوا كاملين قال رب المجد نفسه فى مت ٥ : ٤٨ « فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو

كامل » وقال أيضا فى نفس الأصحاح ع ١٦ « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » فمن هذا يتبين أن الأعمال الصالحة ضرورية للدخول فى حظيرة شعب الله وهى نفسها تكون سببا فى تمجيد الله ، فالنظريه الأرثوذكسية إذاً هى توطيد لفاعليها ليكون فى حظيرة المسيح ، كما هى تؤيد العمل على تمجيد الله .

٢ — أما العقائد الأخرى الذين يقولون أن الأعمال الصالحة ليست ضرورية للخلاص ، يهدمون نظرية الجهاد نحو القداسة والكمال المطلوبين ، وهم ضمنا يهدمون أسباب تمجيد الله ويجعلون المسيحية والخلاص مجرد نظريات عقلية أو روحية وليست مبادىء حية مصحوبة بأعمال طيبة نافذة فعلا وهذا يؤدى حتما إلى الهلاك (لا إلى الخلاص) لأن كل شجرة لاتصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار مت ٣ : ١٠ كما أن ملكوت السموات الذى هو ثمرة الخلاص لا ينال إلا بالجهاد بل بالجهاد العنيف قال رب المجد فى مت ١١ : ١٢

« ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغتصب والغاصبون يختطفونه » وفى لو ١٦ : ١٦ جاء النص هكذا « كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله . وكل واحد يغتصب نفسه اليه » وقال بولس الرسول أن ذلك الجهاد العنيف يجب أيضاً أن يكون قانونيا أى عن فهم صحيح ومطابقة صحيحة لكلمة الله وأيضا ان كان أحد يجاهد لا يكلل أن لم يجاهد قانونيا » ٢ تى ٢ : ٥

٥ ـ عقيـــدة الاختيـار

— ٥ —

تعلم الكنيسة الأرثوذكسية أن المختارين للسماء قد إختارهم الله بناء على علمه السابق الأزلى أنهم سيسلكون حسنا وسيقبلون الدعوة التى توجه اليهم باختيارهم وإرادتهم وحريتهم الكاملة ، وإن الذين يرفضون للهلاك يهلكون باختيارهم وحريتهم أيضا لعصيانهم الشخصى ، وما الاختيار فى كلتا الحالتين إلا مبنيا على علم الله السابق على حد قول الوحى الإلهى « معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله » أع ١٥ : ١٨

ولكن الخارجون عن الكنائس الرسولية يقولون أن الله قد اختار قوما للحيوة الأبدية ، وآخرين للعذاب الأبدى بغض النظر عن حريتهم وعن أعمالهم أو قبولهم للدعوة أو عدم قبـــولها أنظر ص ٣٠٠ من علم اللاهوت البروتستانتى . ويقول كتاب شرح أصول الأيمان البروتستانى للدكتور أندراوس وطسن والقس ابراهيم سعيد أستاذ

علم اللاهوت البروتستانتى السابق الإشارة اليه يقول بصفة ٦٣ و ٦٤ « أن الله قضى منذ الأزل بكل ما يحدث بمعنى أنه قضى بخلاص بعض من الناس وبهلاك آخرين بسبب عدم إطاعتهم . ومنذ الأزل المخلصون والهالكون داخلون فى دائرة قضاء البارى لا فى علمه فقط » لاحظ تعبيره بلفظ « قضا » الله الأمر الذى لا يمكن الانفلات منه وتتلاشى منه حرية الانسان ، وقال ذلك الكتاب أيضا فى ص ٧٧ « بما أن الله قد اختار بعضا من الناس للحياة الأبدية وترك الآخرين يهلكون قد أرسل ابنه ليموت عن أولئك المختارين فلا يليق القول إذاً أنه أرسل ابنه ليموت عمن تركهم يهلكون لاحظ ما تحته خط

أما الاتفاق والتنافر فى هذه العقيدة من ناحية الوحى المقدس فهو واضح من :

١ — قول الرسول فى رومية ٨: ٢٨ ، ٢٩ « كل الأشياء تعمل معا الخير للذين يحبون الله الذين هم مدعون حسب

قصده لأن الذى سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه[1] ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا والذين دعاهم هؤلاء برروهم أيضا . . . إلخ »

فالتعيين والاختيار هما نتيجة المعرفة أو علم الله السابق. وقال بطرس الرسول فى رسالته الأولى ص ١ ع ١ و ٢ « المختارين بمقتضى علم الله السابق » راجع أيضا ١ كو ٨: ٣، رو ١١: ٢ أما حرية تصرف الانسان التى تقول بها العقيدة الأرثوذكسية فلها نصوص كثيرة نكتفى بذكر اثنين واحدة من العهد القديم وأخرى من العهد الجديد :

جاء فى تث ٣٠: ١٥ — ١٩ « أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحيوة والخير والموت والشر بما أنى أوصيتك أن تحب الرب وتسلك فى طرقه . . . . لكى تحيا وتنمو

(١) وحسب طبعة رومية جاء للنص « الذين عرفهم بسبق علم وأقصدهم أن يصيروا شركاء لشبة صورة ابنه »

يباركك الرب . . . فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى ... أنكم لا محالة تهلكون .... أشهد عليكم اليوم السماء والأرض قد جعلت قدامك الحيوة والموت البركة واللعنة فأختر الحيوة لكى تحيا أنت ونسلك» تأمل جيداً ما تحته خط .

قال رب المجد فى مت ٢٣: ٣٧ و ٣٨ « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » .

فمن قوله قدامك الحيوة والموت واختر الحيوة ومن قوله أردت أن أجمع وولم تريدوا تتبين حرية الإنسان بجلاء وأنه مخير وليس مسيراً فيما يتعلق بحياته الأبدية .

(٢) أما تنافر العقائد الأخرى عن الكنيسة مع الوحى فإنك لم ولن تجد آية واحدة فى الوحى تدل على أن الله اختار أشراراً الحيوة الأبدية بدون سابقة توبة وأعمالا

صالحة (ولا تظن الأمر اليمين قد وعد بالفردوس بدون هذه التوبة والأعمال الصالحة فمن النص الوارد فى لو ٢٣ : ٤٠ — ٤٢ نجد توبته القلبية واعترافه بعدالة الله فى عقابه وبراءة السيد المسيح واستعطافه إياه واستخدامه الكامل الصحيح لجميع أعضائه الممكن استخدامها فى العمل الصالح فاستحق ذلك الوعد) وكذلك لا تجد نصاً يقول أن الله خصص فلاناً للحيوة أو فلاناً للهلاك رغم إرادتهما ومشتهما وحريتهما وأعمالهما وقبولهما الشخص .

* * *

أما فيما يختص بالأتفاق والتنافر فى هذه العقيدة مع العقائد الأخرى فهو ظاهر جداً من : —

(١) أن العقائد الأخرى تتنافر وتتصادم مع الاعتقاد بعدالة الله لأنه إذا كان الله عادلا فلا يمكن أن يختار قوماً للحيوة الأبدية ، وقوماً للعذاب الإبدى بدون أن يزن إيمانهم وأعمالهم بعلمه السابق الشامل كل شىء ، وكذلك هذه العقيدة

تطعن فى صلاح الله ومحبته (هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية يو ٣ : ١٦) لأن الله بحسب عقيدتهم يكون قد خلق قوماً مخصصين للعذاب الدايم ، وهذا يتنافى كلياً مع الاعتقاد بصلاحة وخيريته وجوده وجودته ومحبته وكيف يقال عن الله أنه محب البشر مع أنه قضى بهلاك أكثرهم حسب العقائد الأخرى .

(٢) أما الأعتقاد الأرثوذكسى فهو كل الموافقة مع عدل الله لأن الأختيار والتعيين وقع بحسب علمه السابق بأعمال الإنسان التى تحدث منه بحريته وإرادته الكاملة(١) .

(١) إنى أشبه هذا الأمر للبسطاء برجل جالس على قمة جبل عال ومعه منظار مكبرى به جميع شوارع المدينة وازقتها والمتحركين فيها ، فيرى زيداً من الناس يمشى فى الشوارع المستقيمة وفى نفس الوقت يرى عمروا — أى شخصاً آخر يسير فى الأزقة المعوجة فيسجل سير كل من الاثنين ، فلم يكن اختلافه مايراه ناتجاً عن المنظار ولا هو أو المنظار أرغم المتحركين بشكل =

وكذلك هذا الإعتقاد يوافق أيضا ويؤكد صلاح الله وجوده ومحبته لأن باب الحيوة الأبدية مفتوح للجميع ولم يوصد فى وجه أحد ما كما قال رسول الحق « يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » ١ تى ٢ : ٤

خاص بل ما ظهر فى المنظار وهو نتيجة حرية ورغبة الإثنين فى الإتجاه . فعلم الله تعالى . مؤسس على سلوك الإنسان بكامل حريته لا العكس . وبهذه الكيفية نفسر جميع الآيات التى ترى بالنظر السطحى أنها تتعارض مع ذلك .

٦ ـ وجود الأسرار الكنسية

— ٥ —

تعلم كنيسة الله الأرثوذكسية بوجود سبعة أسرار كنسية (والسر هو نعمة روحية غير منظورة ولا مدروكة حسيا ينالها المؤمن تحت علامات ومواد غير منظورة) تمنح للمؤمن نموه وثباته الروحى فى المسيح . ولكن الكنائس الغير رسولية يتجاوز بعضهم الحد فى تحكيم العقل والحواس فى الدين فينكر وجود أسرار كلية . والبعض الآخر يقبل بعضا من الأسرار ويرفض الباقى(١)

---

(١) لو تأملت فى الأسرار السبعة لوجدتها فى إجراءاتها وغاياتها النهائية توافق ضعف الانسان وطبيعته التى فطر عليها وتظهر بأجلى بيان حنو الله نحوه وأنه فى شديد الحاجة اليها باعتباره مفرداً قائماً بذاته وباعتباره عضواً فى الهيئة البشرية ـ للتفصيل طالع « حكمة الله فى الأسرار ـ الخ » فى نهاية القسم الخامس بكتاب الافخار ستيا المؤلف .

أما التوافق والتنافر فى هذين التعليمين من ناحية الوحى المقدس فهو :

١ ـ يقول الرسول فى ١ كو ٤ : ١ « فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله » . ومن جهة عدد الأسرار تجد كلاما صريحا عنها فى سفر الأمثال الأصحاحين الـ ٨ و الـ ٩ منه ، إذ قد أجمع مفسر وكلام الله على أن الأصحاح الثامن وبالأخص ابتداء من العدد ٢٢ إلى نهايته المتضمن كلام « الحكمة » إن « الحكمة » هذا ما هو إلا الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس أى الرب يسوع المسيح ، ويؤيد هذا قول الحكمة فى تلك الآيات « منذ الأزل مسحت . منذ البدء منذ أوائل الأرض ... الخ كنت هناك أنا ... كنت عنده صانعا ... ولذتى مع بنى آدم » المطابق فى معانيه لكلام يوحنا الحبيب فى إفتتاح أنجيله عن الاقنوم الثانى وعن تجسده ، وبناء على هذه المطابقة ، وهذا الإجماع من المفسرين نقول :

قال الروحى فى الاصحاح التاسع « الحكمة » (أى المسيح)

بنت بيتها (أى الكنيسة) تحت أعمدتها السبعة (أى أقام السيد المسيح وأنشأ أسرار الكنيسة السبعة ليؤسس عليها الكنيسة التى دعيت عمود الحق وقاعدته ١ تى ٣ : ١٥ ومما يؤيد هذا التفسير كلامه التالى عن سر هذه الاسرار و أعظمها أى سر المائدة المقدسة المعتبر فى نفس الوقت ذبيحة ناطقة سمائية وهو :

« ذبحت — أى الحكمة ذبحت — ذبحها مزجت خمرها أيضا رتبت مائدتها . أرسلت جواريها تنادى على ظهور أعالى المدينة من هو جاهل فليمل إلى هنا والناقص الفهم قالت له هلموا كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التى مزجتها »

٢ — أما التنافر — تنافر العقائد الاخرى القائلة بأنه لا توجـــد أسرار مع الوحى المقدس فإنه واضح من أنه لاتوجد آية فى الكتاب أوالإنجيل تقول انه لاتوجد أسرار فى الكنيسة ، بل بالعكس عندما عرف الرسول الإيمان قال عنه فى عب ١١ : ١ أنه هو « الثقة بما يرجى والإيقان

بأمور لاترى » . وما الأسرار إلا نعم روحية لاترى بالعين أو الحواس الجسدية ، ولذلك لا تدركها ، العقول البشرية التى وسيلة إدراكها متوقفة على هذه الحواس .

ولما خاطب الرسل الذين يحكمون عقولهم فقط دون التسليم لكلمات الله ما لم تكن مدركة لهم إدراكاً حسياً قال هكذا :

« لأن من من الناس يعرف أمور الانسان إلا روح الإنسان الذى فيه هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها إلا روح الله ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانيه بل بما يعلمـــه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات ، ولاشك أن الأسرارهى روحيات وإلاما كانت تسمى نعماً وأسرار — ثم يكمل قائلا « ولكن الإنسان الطبيعى — أى المتحكم فيه عقله الطبيعى وبه يرتفع على نصوص الكتاب فيما لا يدركه عقليا — لا يقبل مالروح الله لأنه عنده جهالة — كما هو الحادث فهم فعلا عن الأسرار —

ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً . وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يحكم فيه من أحد » ١ كو ٢ : ١٢ - ١٥

هذا إلى التنافر بين عقيدتهم ونصوص الوحى عن كل سر كما سيجىء عن سرى العماد والتناول(١)

(١) أما باقى الأسرار الضرورية للخلاص كسر الميرون وسر التوبة (أو الاعتراف) وسر الكهنوت للقيام بواجبات القيادة الروحية للكنيسة ومنح الاسرار لاعضائها ففى كل هذه الاسرار نجد التنافر العظيم بين عقيدتهم فيها ونصوص الوحى عنها فعن سر الميرون لا يعترفون به أصلا ويقول الدستور البروتستانتى للدكتور أطسن وابراهيم سعيد أنه لا لزوم له وأنه عمل باطل - أنظر ص ٣٨٠ - ٣٨٢ مع اعترافه بانشائه منذ نشأة الكنيسة وقد ذكر صراحة فى أع ٨ : ١٤ - ١٧ ، ١٩ : ٢ - ٦ وذكره بولس ويوحنا فى ٢ كو ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ١ يو ٢ : ٢٧ أما عن سر التوبة أو الإعتراف مت ١٨ : ١٧ ، ١٨ ، يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣ ، أع ١٩ : ١٨ ، ١ يو ١ : ٨ - ١٠ أما عن سر الكهنوت بدرجاته الثلاث فاقرأ عن الشماسية ١ تى ٣ : ٨ وعن القسوسية =

أما من جهة الإعتقاد بوجود أسرار وعدمه واتصاله بالعقائد الأخرى فنقول :

١ — التنافر : إن من ينكرون وجود الأسرار فى الكنيسة هم فى نفس الوقت يحكمون عقولهم ويقولون بلسان الحال أن الله غير قادر على عملها (بل قال ذلك فعلا ونصا مؤكداً تلك التجاديف أحد معلمى البلموث فى كتاب له اسمه « بحث تحليلى الخ فى عشاء الرب » لمؤلفه و . ج خادم الأخوة بالأقصر ص ٢٩ قائلا بصدد الاستحالة إنها من الأمور التى هى ضد العقل الذى يأمرنا الله بتحكيمه ومستحيل فعلها وحدوثها حتى على الله نفسه . واضعا هذا الخط للتأكيد تحت الجملة التجديفية أو يقولون بلسان الحال أيضاً أن وعـــود الله بالأسرار كاذبة أو أن أقواله خيالية ليست حقيقية ، وهذه الأمور جميعها لم يقل بها أحد منهم . فما أشد هـذا التنافر بين معتقداتهم بعدم وجود أسرار وبين

= أع ١٤ : ٢٣ وعن الاسقفية ١ تى ٣ : ١ ، ٢ وعن موهبة وضع اليد فاقرأ ٢ تى ١ : ٦ ، أع ٦ : ٦ ، ١٣ : ٣

ما يقولونه أو يعتقدونه عن الله جل جلاله وعن قدرته غير المحدودة .

٢ — أما الأرثوذكس الذين يقولون بوجود الأسرار فهم يعترفون إيمانا وقولا وعملا بقوة الله ويسمو الإيمان عن العقل ، ويضعون عقولهم تحت أقوال الله لا فوقها ، ويجعلون وعود الله صادقة وأقواله حقيقية وحية على الدوام ويعترفون بفاعلية الروح القدس ، وعمل النعمة فيهم .

٧ ـ ضرورة العماد للخلاص

— • —

العماد هو أول أسرار الكنيسة وبه يولد المؤمن ميلاداً ثانيا من الروح القدس لنوال نعمة التبنى لله يو ١ : ١٢ و ١٣ ، ٥ : ٣ ولغفران جميع الخطايا الجدية والفعلية السابقة عليه أع ٢٢ : ١٦ ، أف ٥ : ٢٦ . وهو بهذا الوضع هام جداً لعلاقته الوثيقة بخلاص النفوس وملك الحيوة الأبدية السعيدة .

وتقول عنه الكنيسة الأرثوذكسية أنه ضرورى للخلاص بمعنى أن من لم يعتمد عماداً صحيحا لا يمكنه أن يرث السماء ولا يمكن أن يحسب من أبناء الموطن السماوى

ويقول عنه الخارجون عن الكنائس الرسولية أن العماد هو فريضة ورسم فقط وأنه مجرد علامة عن الإيمان فلا يتوقف عليه خلاص ولا وراثة السماء من عدمها حتى ضل أحد الكهنة الأرثوذكس ورامهم قائلا أن غاندى زعيم غير المسيحى قد ذهبت روحه إلى السماء

ومعلوم أن ولادة الإنسان الجسدية الطبيعية تقوم على

ثلاثة أركان أساسية (الأول) رجل له زرع سليم يلقيه إلى رحم المرأة (الثانى) المرأة تقبل الزرع (الثالث) الزرع الذى يلقيه الرجل للمرأة . وإذا إنعدم وجود أحد هذه الأركان الثلاثة أو كان فاسداً إنعدمت الولادة . هكذا الأمر فى الولادة الروحية أو الميلاد الثانى أى المعمودية (كما ذكر ذلك صراحة بطرس الرسول فى ص ٣ من رسالته الأولى ع ٢٠ و ٢١) كذلك توجد هذه الأركان عينها : فالروح القدس أى الله جل جلاله هو الركن الأول الذى أصبح أبا للمولودين منه بالعماد قال يوحنا الحبيب فى الاصحاح الأول من أنجيله ع ١٢ « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاداً لله أى المؤمنين باسمه الذين ولدوا ليس من آدم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » . أما الركن الثانى الروحى فهو الكنيسة التى دعيت عروس المسيح وجسده وامرأته (اقرأ رؤ ٢١ : ٩ وأمثالها) ورحمها هو جرن المعمودية المملؤ بالماء . أما الركن الثالث أى النوع فهو كلام الله المنحدر من وكيله على الجرن قال الرب

عندما فسر مثل الزارع الذى خرج ليزرع الوارد فى لو ٨ قال فى عدد ١١ « الزرع هو كلام الله وقد جمع بطرس الرسول جميع هذه المعانى فى عبارة مختصرة فى رسالته الأولى ص ١ ع ٢٣ قائلا « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » ومن كل هذا يتبين تطابق أسلوب الولادة الروحية مع أسلوب الولادة الجسدية الطبيعية لأن واضعهما واحد وهو الله

وأول ما نلاحظ من التوافق والتناقض مع الوحى المقدس فى هذا الموضوع .

١ — التوافق : يقول الارثوذكس أن العماد ضرورى للخلاص ولا يرث السماء من لم يولد من الماء والروح أى يعمد ويؤيدون قولهم هذا بكلام رب المجد مع نيقوديموس الفريسى الذى كان رئيسا لليهود قائلا له « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » يو ٣ : ٣ ولما اعترض نيقوديموس بعقله الطبيعى على سرية هذا الامر قائلا « كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو

شيخ . ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد » ع ٤
ظاناً أن الميلاد الثانى هو من ذات الام الاولى البشرية .
أجابه يسوع ذلك الجواب الحاسم « الحق الحق أقول لك
إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل
ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من
الروح هو روح » ع ٥ و ٦) اقرأ باقى المناقشة فى الانجيل
لتعلم درجة تصميم رب المجد على قوله)

ولئلا يقول أحداً معترضا على ذلك أن الولادة الثانية
الروحية هى خلاف العماد فهذا نجيبه أن المعمودية والولادة
الثانية «هما شيء واحد بادلة وحيه كثيرة (ونضرب صفحا
عن أقوال الآباء القديسين الذين استلموا مبانى أقوالهم من
الرسل الذين استلموا من رب المجد نفسه بما أن المعترض
لا يقيم لها وزنها الحقيقى) ومن هذه الادلة تسمية الولادة
الثانيـة غلا مخلصاً كقوله فى تى ٣ : ٣ - ٧ « لأننا كنا نحن
أيضا قبلا أغبياء غير طائعين ضالين . . . ولكن حين ظهر
لطف مخلصنا وإحسانه . . . خلصنا بغسل الميلاد الثانى

وتجديد الروح القدس (أى سر الميرون أنظر حاشية ص
٣٦) ... حتى نصير ورثة حسب رجاء الحيوة الأبدية »
وقال أيضا فى أف ٥ : ٢٥ - ٢٧ « أيها الرجال أحبوا نساءكم
كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها كى يقدسها
مطهراً اياها بغسل الماء وبالكلمة كى يحضرها لنفسه كنيسة
مجيدة لادنس فيها ولاغض .. بل تكون مقدسة وبلاعيب

لاحظ لفظتى الماء والكلمة الدالين بصريح العبارة على ماء
المعمودية الذى يحل عليه الروح القدس بعد تلاوة الكلمات
الإلهية عليه من الخادم الشرعى وكيل سرائر الله ١ كو ٤ : ١
كما حل جل جلاله فى نهر الأردن عند عماد السيد له المجد .
ولاحظ معنى التقديس المشتق من القداسة التى هى إرادة
الله لشعبه ١ تس ٤ : ٣ بل أنظر إلى التعبير الصريح الذى بعثه
الرب على لسان بطرس الرسول ها دما به كل مكابرة أو عناد
فى ذلك «المعمودية تخلص» قال فى رسالته الأولى ص ٣ : ٢٠
و ٢١ مقارناً بين أحد الرموز القديمة للمعمودية نفسها
هكذا «إذ عصت (الأرواح) قديما حين كانت أناة الله

تنتظر مرة فى أيام نوح إذا كان الفلك يبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية . لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » .

فما أصرح هذا التوافق المجيد بين ما تعتقده الكنيسة عن العماد وبين نصوص الوحى المقدس ، القائل بعبارة صريحة موجزة « من آمن واعتمد خلص » مر ١٦:١٦

٢ — أما التنافر بين عقيدة الخارجين عن العماد وبين نصوص الوحى المقدس فظاهر جداً لانك لو فتشت الكتاب من أوله لآخره لا تجد نصا يقول فيه أن المعمودية ليست ضرورية للخلاص أو هى مجرد فريضة أو رسم لا قيمة له من جهة دخول السماء ووراثتها . وكم هو مخجل وفظيع ذلك القول الذى قاله « اسبرجن » أحد علماء الخارجين عن الكنيسة المقدسة « أن المعمودية هى كالقش ولو لم يقل المسيح عمّد لما مددت يدى وعمدت أحداً » اليقظة عدد ٧ سنة ٤ ص ٤٦٣ وقال أيضا خادم الكلمة البروتستانتى

بسوهاج » إن كانت المعموديه هى الولادة الثانية فأنا أترك المسيحية » هذه الأقوال التى إن دلت على شىء لا تدل إلا على عجرفة العقل البشرى — تلك العجرفة المودية إلى التعدى على كلمات الله ، والإعتراض على حكمة السيد فى عمله وشريعته حتى دعى المعمودية كالقش رغم النصوص الوحيية الصريحه المار ذكرها . وبالتالى تؤدى حتما إلى البعد عن الإيمان وإلا الهلاك عب١١ : ١ ، ٢ بطر ٣:١٥،١٦ وكم هو واجب مقدس علينا نحن الشمامسة أولاد الكنيسة الأرثوذكسية أن ننبه باستمرار شعب المسيح إلى هذا الخطر الداهم الذى يديره الشيطان من وراء الستار ٢كو ١١ : ١٣ ، ١٤ وياويل بعض كهنتنا وخدام الكنيسة عندنا الذين يعملون عمل الرب بارتخاء أر ٤٨:١٠ فيكونون عثرة للبسطاء حتى يتركوا اللبن الصافى عديم الغش إلى تلك التعاليم المنحرفة(١)

(١) ما ذكر أعلاه عن قوة المعمودية ومعناها — اقرأ أيضا عن التوافق والتنافر فيما يتعلق بشكل إجرائها بكتاب =

أما من جهة التنافر والتوافق بين عقيدة العماد والعقائد الأخرى فنقول :

١ — من المسلم به أن الإنسان مولود بالخطية التى أخطأها أبونا آدم الأول ، وكل المسيحيين يقرون بذلك ، والوحى نفسه يشهد به إذ يقول بولس الرسول فى رو٥:١٢ « من أجل ذلك كانما إنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » ويقول أيضا فى نفس الأصحاح ع١٧ « بخطية الواحد قد ملك الموت » وأيضا فى ع ١٨ « بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة » ويقول داود النبى موضحا الكيفية التى تسلسلت بها خطية آدم إلى سائر البشر إلا وهى الحبل والولادة قائلا « هانذا بالإثم صورت . وبالخطية حبلت بى أمى » مز ٥١:٥ .

= « الاروتستانتية ذات صبغة يهودية فى أمور جوهرية » ص ٧٠ للمؤلف .

فلما جاء السيد المسيح له المجد محا عقاب هذه الخطية على عود الصليب وأرضى حقوق العدل الإلهى عنها فكما تسلسلت الخطية من آدم إلى البشر جميعا بالولاده الطبيعية (إذ النطفة البشرية المسلسلة من آدم صارت موبوءة بجرثومة الخطية من وقت سقوطه بالعصيان ومخالفته الوصية ، ولم يعرف آدم حواء معرفة الأزواج إلا بعد السقوط) كذلك أصبح ضروريا أمام العدل الإلهى أن يتسلسل محو عقابها الذى تم على عود الصليب من آدم الثانى ربنا يسوع المسيح رو٥:١٧ — ١٩ إلى جميع البشر الراغبين ذلك بنفس الطريق الطبيعى الذى وصلهم به الخطية نفسها أى بالحبل والولاده الروحيين (١) إلا وهو العماد . وذلك لأن جميع أعمال الله تعالى ليست بلا ضوابط بل تربطها قواعد الإنسجام والتجانس والتناسب التى نراها ظاهرة حتى فى الطبيعة المادية فأصبح من الضرورى جداً أن نولد من الله (أى الروح

(١) كما مر فى أول الكلام عن أركان الولادة الجسدية والروحية .

القدس) حتى تصبح وراثتنا للسماء قانونية بقبلها العدل الإلهى .

فأولئك الذين يقولون بعدم ضرورة العماد للخلاص من عقاب الخطية الجدية وعدم ضرورته لوراثة السماء هم يناقضون هذه الحقائق عينها أى ولادة الإنسان بالخطية التى يسلمون بها أو هم بعبارة أخرى يناقضون الحقيقة القائلة أن السماء لا يدخلها دنس أو رجس رؤ٢١ : ٢٧ ولسان حالهم يقول سندخلها ونحن متسخين بعقاب وأوساخ الخطية الجدية.

إن العماد هو موت ودفن مع السيد المسيح له المجد ، فمن لم يمت ويدفن ويقوم مع رب المجد لا يستطيع أن يتأهل لدخول السماء قال الرسول موضحاً هذه الحقيقة فى رو٦ : ٣-٧ بأجلى بيان « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحيوة لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته . عالمين أن انساننا العتيق (أى الجسد الواصل إلينا بحر ثومته من آدم) قد صلب معه ليبطل جسد

الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية لأن الذى مات (أى الإنسان بالعماد) قد تبرأ من (عقاب) الخطية »

فما أجل العماد وأعظمه وما أشد ضرورته للهادف حقاً للمعيشة المسيحية الموصله للسماء . وما أشد التناقض بين عقيدة القائلين بعدم لزومه وبين عقيدتهم هم عن تسلسل الخطية الجدية وقداسة السماء .

٢ — أما فى الإعتقاد الأرثوذكسى فإننا نجده يؤيد كل هذه المعتقدات ولا يتنافر معها فى شىء بل يثبتها ويبنيها ، ويعترف إعترافا واضحاً بتسلسل الخطية من آدم وبحاجة كل إنسان إلى محو عقابها أو مسحه بالموت والدفن والقيامة مع المسيح . كما يقرر قداسة السماء وأنه لا يمكن لأحد دخولها إلا اذا محيت أوساخه الوراثية أولا علاوة على محو عقاب خطاياه الفعلية لذلك حرصت قوانين الكنيسة أن تعمد أطفالها فى وقت مبكر قبل أن تكون لهم خطايا فعلية بل بمجرد طهارة الأم من نفاس الولاده حتى اذا فرض وانتقلوا إلى العالم الآخر يكونون بلا عائق لدخول السماء

٨ — ضرورة التناول

من الجسد والدم الحقيقيين للخلاص

— ٥ —

موضوع هام جداً لعلاقته الوثيقة بخلاص النفوس كما أنه مركز الدائرة للعقائد المسيحية . وعلى أساس الجهة أو الطائفة التى تتناول فيها يعتبر مركز انتمائك الرسمى لهذه الطائفة أو تلك .

وتقول الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وسائر الكنائس الرسولية التى أسسها رسل المسيح قبل انتقالهم من هذا العالم ، أن تناول المؤمن لجسد المسيح ودمه الحقيقيين الفعليين هو ضرورى للخلاص ووراثة السماء ، وأنه بغير ذلك لا يمكنه أن يخلص ، ولا أن يرث السماء معتقدة بالاستحالة المقدسة السرية — أى تحويل جوهر الخبز إلى جسد الرب وتحميل جوهر الخمر إلى دمه — بالصلاة باستدعاء الروح القدس مع

بقاء المنظر والأعراض كما هى ، حتى يستطيع الإنسان بطبعه البشرى من الأكل والشرب .

وتقول الكنائس الأخرى الخارجة عنها أن الاشتراك فى المائدة هو مجرد تذكار أو رمز أو مثال لموت المسيح فقط ، وأن الخبز والخمر يلبثان كما هما بغير استحاله وأن الاشتراك ليس ضرورياً للخلاص ولا وراثة السماء ويقولون أن اللص اليمين ورث السماء وهو لم يتناول .

أما التوافق والتنافر فى هـــذا الموضوع مع نصوص الوحى المقدس فهو فى غاية الوضوح كالآتى : —

(١) التوافق بين العقيدة الأرثوذكسية والوحى :

يقول السيد المسيح له المجد للاثنى عشر مستعملا فى تعبيره نفس أسلوب الآب عنه فى العماد بنهر الأردن « هذا هو ابنى الحبيب[1] » .

(١) فهل كان المنادى عليه فى الأردن يمثل ثور رمز أو = يشير إلى ابنه الحبيب وليس هو الابن نفسه حتى كنا نقبل هذه الزيادات البروتستانية ونقولها معهم عن الجسد أى الخبز وعن الدم أى الخمر ؟

ومشيراً إلى الخبز وإلى الخمر قائلا « خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » مت ٢٦ : ٢٦ - ٢٨ ، مر ١٤ : ٢٢ — ٢٤ ونوجه النظر إلى ما تحته خط .

وقال بولس الرسول فى رسالته الأولى لأهل كورنتوس الاصحاح ١١ بعد أن سرد رواية ما صنعه السيد المسيح مع تلاميذه ليلة العشاء السرى أى آخر ليلة قبل الصلب ، قال هكذا بصراحة ساحقة لكل تحوير أو ظن فى حقيقة الاستحالة السرية إلى الجسد والدم مع بقاء الاعراض « إذاً أى من أجل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذى يأكل ويشرب بدون إستحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه « غير مميز جسد الرب » ع ٢٧ - ٢٩ وغير ذلك كثير جداً من جهة إثبات الإستحالة المقدسة السرية إلى ذات جسد

الرب ودمه ، ومن جهة أهمية التناول منهما وضرورته للخلاص حيث يقول السيد نفسه مثبتاً الكلام من الوجهين الإيجابى والسلبى لأهمية الأمر أقوالا كثيرة مستعملا فيها أقوى صيغ الكلام اللغوية (الضمير والعلم واسم الإشارة واسم الموصول . . . الخ) لتأكيد معنى كلامه على الوجه الذى تؤمن به الكنيسة المقدسة منها « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى ، فله حيوة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه »(١) يو ٦ : ٥٣-٥٩ . ثم ختم كلامه بما

(١) فى يو ٦ كلام كثير جداً تدرج فيه السيد المسيح من الطعام العائد إلى الطعام اللائق للحيوة الأبدية أى جسده ودمه الأقدسين الذى سيعطيه للمؤمنين فى المستقبل ويستمر على الإعطاء قائلا فى ع ٥١ بعد أن بين ضرورة الإيمان به أولا فى ع ٣٥ و ٤٠ « والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حيوة العالم » وقد استخدم الرب فى هذه الأقوال جميع =

تعتبره أرقى درجات الصراحة والتأكيد فى هذا الأمر الجليل قائلا بصيغة الضمير المتكلم « كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى (بياء المتكلم) يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد » ع ٥٨ و ٥٩ ـ راجع هذه الكلمات الإلهية مرة ثانية وجميعها عن الناحية الإيجابية عدا ما وضع تحته خط فهو من الناحية السلبية

فما أصرح هذه الكلمات وأقواها وما أشدها موافقة للعقيدة الأرثوذكسية

أما كون اللص اليمين ورث السماء مع أنه لم يتناول فان ذلك راجع إلى أن بداية سريان العمل بالأسرار لم تكن قد جاءت لأن الروح القدس العامل فيها لم يكن قد حل على الكنيسة بعد . إن لم يحصل ذلك إلا بعد تمام الفداء وصعود

= صيغ أنواع الكلام المؤيدة لفكرة الكنائس الرسولية . وتحدى التلاميذ بل الرسل ان يتركوه إذا رفضوا ذلك اقرأ التفصيل ج ع ٦ ق ٥ من كتاب الأفخارستيا وقال أيضا فى ص

الرب وإرساله الروح للعمل .

٢ — أما عن تنافر وتصادم عقيدة الخارجين مع الوحى فحدث عنه ولا حرج : (السيد يقول جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق ويؤكد كلامه بعدة صيغ ويقول من يأكلنى يحيى بى ومن يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه(١) وله حيوة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، والخارجون يقولون بعقيدتهم وبلسان الحال : جسدك لا يؤكل ، ودمك لا يشرب . وليس من الضرورى للثبات فيك أو للحيوة الأبدية والقيامة مع الأبرار فى اليوم الأخير أن نأكل جسدك ونشرب دمك . وإنما علينا فقط أن نقدم خبزاً بسيطاً وخمراً بسيطاً تذكاراً لك ورمزاً له .

تنافر شديد وتناقض واضح مع الوحى الذى يقول فى يو ٦ : ٥٣ : والحق الحق أقول لكم أن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم ، وهم يقولون بلسان عقيدتهم كلا فإننا نحيا وتكون لنا حيوة فينا ونرث

(١) وقال أيضاً فى أصحاح ١٥ أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، والغصن لا يثبت فى الكرمة إلا بالغذاء منها

السماء بدون أن نأكل جسدك ونشرب دمك . ولا نعمل إلا تذكارك .

وإذا اعترض أحد قائلا أن الرب قال لتلاميذه وقت تسليم العشاء الربانى واصنعوا هذا لذكرى ، يو ٢٢ : ١٩ متمسكاً بهذا القول بدون فهم المقصود منه . فهذا المعترض نجيبه أن الرب لم يقل قدموا الخبز والخمر البسيطين تذكاراً لى بل قال اصنعوا هذا (أى حولوا هذا — أنظر يو ٤ : ٦٤ لنرى أن لفظ صنع يساوى حوّل الذكرى وفرق هائل بين التذكار — المادة الجردة البسيطة وبين الذكرى التى لا تعمل إلا بالخير والتلاوة والعقل فقط ، وقد فسر بولس الرسول لانحن المقصود من كلام السيد هذا قائلا فى رسالته الأولى إلى كورنثوس اصحاح ١١ ، هكذا ، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » فلم يقل تقيمون تذكار الرب بل تخبرون ، هذه هى الذكرى المقصودة التى تجعل كلامه تعالى غير هادم لبعضه بعضاً كما يفسر الخارجون ، وهذا ما تفعله الكنيسة المقدسة فإننا نتناول الجسد الحقيقى والدم الحقيقى ، وفى نفس الوقت

نتذكر موت الرب وقيامته إلى أن يجىء كأمر الرسول الذى فسر المقصود من كلام السيد الذى لا يتبغى أو يتعارض مع الاستحالة المقدسة . وهما أى الخبز والخمر تذكار عينى أى من ذات الشىء المطلوب تذكره كالمن الذى كان فى القسط تذكاراً لذات المن النازل من السماء وأمال به الرب بنى إسرائيل فى البرية ، وهذا الأمر أى كون الشىء تذكار لذاتة لا غرابة فيه للطبع البشرى إذ أنه يجرى بيننا كل يوم فإنى لما أراك اليوم أتذكرك وإذكرك أنت بذاتك الذى رأيتك الأسبوع الماضى ، وهوذا انت بذاتك صرت امامى تذكاراً لذاتك(١) .

* * *

(١) ولولا وقوفه بالمرصاد وطبيعته الكاملة لما تقرر ذلك المبدأ ، لا مغفرة بدون سفك دم ، ولما استلزم التدبير أن يتجسد الرب من ذات العجينة البشرية التى خالفت ولما استلزم الأمر ذلك الصلب الرهيب الذى وفى السيد المسيح فيه بأعضائه الجسدية المتحدة بالنفس وباللاهوت عن نفس آدم وجميع أعضائه البشرية التى اشتركت فى المخالفة ونزوقت الخطية وفاما دقيقاً — =

أما فيما يختص بالتوافق والتنافر بين العقيدة فى التناول وبين العقائد الأخرى فنقوله : —

(١) التوافق والتطابق : —

ذكرنا أن السماء طاهرة لا يدخلها خاطىء أو دنس أو الإنسان له خطيئتان (الأولى) وراثية من آدم وتسمى الخطية الجدية (الثانية) فعليه وهى التى يقع فيها كل يوم سواء بالفكر أو الحس رغم جهاده ضدها ، إذاً لا يتيسر للانسان دخول السماء ما لم تغفر له خطيئتان معاً ويخلص من عقابهما، وقد قرر الكتاب ذلك إلمبدأ الراسخ « لامغفرة بدون سفك دم » عب ٩ : ٢٢ والسيد له المجد قد سفك دمه من أجلنا وليس من أجلنا وحدنا بل من أجل العالم كله مؤمنين وغير مؤمنين ، ولكن كيف يصل إلينا سفك

= فاليد التى امتدت للثمرة تمرت ، والرجل التى سعت اليها عمرت والرأس التى فكرت كلت بالشوك، والعين التى نظرت رأت الشياطين والهانئين وحلاوة الثمرة صارت مراً و . . . و . . إلخ من المقارنات الدالة على دقة العدل الإلهى فى أساليب الوفاء على خطأ آدم وخطأ بنيه من بعده .

الدم هذا ليطهرنا من الخطيئتين الوراثية والفعلية بوسيلة أو طريقة يوافق عليها العدل الإلهى الدقيق الواقف لنا بالمرصاد

الجواب على هذا السؤال : لا سبيل إلى ذلك إلا أن تكون تلك الوسيلة أو هذه الطريقة متجانسة متطابقة مع الطريقة التى وصلتنا بها الخطيئتان ، وهذا الأمر قد أوجبه التدبير الإلهى فى خلاص البشر لدرجة دقيقة جداً إذ أعمال الله كلها بحكمة صنعت أو تصنع إذ بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم هكذا بانسان واحد محا عقابها وخلص الإنسان منها كقول بولس الرسول الذى شرح فى موضوع العماد ، وكما دخلت الخطية ابتدائياً بشهوة الأكل وجدنا التدبير الإلهى لخلاص الجنس البشرى منها بربنا يسوع المسيح فى بداية العمل الخلاصى الوقائى بعد الإعلان عنه مباشرة من السماء (هذا هو ابنى الحبيب) والإعلان عنه من الأرض (هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم) صائماً أربعين يوما وأربعين ليلة وفاء عن شهوة الأكل التى أدخلت الخطية للعالم من البداية ، وهكذا لو أردنا أن نعمل مقارنة بين كيفية ودرجات سقوط آدم ، وبين كيفية الفداء

والقيام من ذلك السقوط بواسطة ربنا يسوع المسيح الذى دعى آدم الثانى لوجدنا أن السيد له المجد إتبع نفس الطريق والكيفية التى سقط بها آدم لكى يعيده إلى مركزه الذى سقط منه كما ينزل الإنسان على درجات معينة من أعلى إلى أسفل وكما يعود إلى هذه الدرجات عينها عند عودته إلى مركزه الأول ، والكلام فى ذلك كثيراً جداً يتلى بعضه عادة فى تذكار رجعة الصليوت ذكر بعضه القليل فى الحاشية

والخلاصة من كل هذا أنه بحسب قانون العدل الإلهى الدقيق لا يمكن أن تصلنا منافع سفك دم المسيح عنا لكى تتبرر من الخطيئتين الوراثية والفعلية إلا بنفس الطريق التى وصلتنا بها الخطيئتان مع مراعاة قوانين العدل الأخرى حتى تقف أمام الله مبررين فعلا بدم المسيح لا مبررين كلاما فقط ، لأن الرحمة الإلهية قائمة وموجودة على أساس إحترام تلك القوانين ، ولا تقبل إهانة زميلها العدل الإلهى ، ولولا هذا الأمر لما إستلزم الحال إلى التجسد والصلب.

أما الخطية الجدية أو الوراثية فقد وصلتنا عن آدم بطريق الولادة الطبيعية بالتناسل ، وقد محى جرمها بالعماد

أى بالولادة الثانية الروحية التى هى إشتراك فعلى مع السيد المسيح فى موت الإنسان العتيق فينا وقيامته معه إلى جدة الحيوة كما عبر الرسول وكما شرحنا فى الموضوع الفائت وكما كانت دعائم الولادة الجسدية رجل وامرأة وزرع بشرى يلقى من الرجل للمرأة ، كذلك كانت دعائم الولادة الروحية كقول بطرس الرسول .

أما الخطية الفعلية التى تدنسنا ونسقط فيها بعد العماد وبعد سماع الوصية (وكما حق الموت على آدم بعد مخالفته الوصية كذلك يحق علينا) كيف وصلتنا أذيتها ؟ لا شك أنك تعترف أن ذلك كان عن طريق الفعل والعمل نفسه . هكذا لا تستطيع أنت أن تخلص من عقابها إلا إذا حصلت على منافع سفك دم المسيح بالفعل والعمـــل أى بنفس الأسلوب أو بعبارة أخرى إلا إذا سفك دمك أنت فعلا مع المسيح حيث يتطلب العدل الالهى الدقيق عقاب المجرم نفسه وليس ذلك فقط بل أن يتم ذلك بعد وقوع الخطأ فعلا لا قبل وقوعه لأن العدل يمتنع أن يعاقبك (أو يعاقب النائب عنك نيابة شرعية) عن خطأ لم يقع بعد وإلا فقد

صار ظلماً واغتصاباً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فكيف يتم إذاً خلاصنا من هذه الخطية الفعلية. تلك مبادىء العدل قائمة ضدنا؟ نعم الرحمة الآلهية موجودة، ولكن على أساس احترام مبادىء زميلها العدل الآلهي لا على أساس هدمها(١).

الجواب على هذا السؤال يوجد فى الكنائس الرسولية فقط إذ بعد أن يقع المؤمنون فى الخطأ يتناولون من جسد المسيح ودمه الحقيقيين (بالاستحالة المقدسة) اللذين تم سفكهما جسداً ونفساً وقاما من بين الأموات يتحدان بجسد المؤمن ودمه ونفسه ويصيحان هو وجسده ونفسه شيئاً واحداً بالاكل والشرب، وبذلك الاتحاد يتم مطلب العدل القائل «لا تحصل مغفرة بدون سفك دم» بهذه الطريقة القائمة على أساس الاستحالة تصل إليك أيها المؤمن منافع

(١) إذا أردت إيضاحاً أكثر اقرأ نبذة «الضرورة القانونية» المؤلف.

سفك دم المسيح عنك بأسلوب وكيفية فعلية عملية حسية مادية روحية كما فعلت أنت الخطية الفعلية ذاتها بنفس الأسلوب. لذلك قال الرب من الوجهة السلبية «ان لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ليست لكم حيوة فيكم» وقال من الناحية الإيجابية «من يأكلنى يحيا بى» وغيرها من الأقوال المذكورة قبلا.

فما أحكم وأدق وأعظم شرائع الرب وأعماله وما أشد تماسك وترابط وتوافق التدابير الالهية بين العقيدة الأرثوذكسية فى سر التناول والعقائد الاخرى كقوة ودقة العدل الإلهى واحترام الرحمة لقواعد العدل. وطهارة السماء وأنه لا يمكن دخولها إلا لمن تبرر من سائر الخطايا.

(٢) أما التنافر بين عقيدة الخارجين عن الكنائس الرسولية عن التناول وبين عقائدهم الأخرى فواضح جداً لأن من لا يعترفون بالاستحالة المقدسة يناقضون ويصادمون الحقائق الآتية التى هم أنفسهم يقرون بها:

(فأولا) لا يتم فيهم من حيث الخطية الفعلية قول الكتاب لا تحصل مغفرة بدون سفك دم لأن الخاطئ يأكله خبزاً بسيطا وخمراً بسيطا تذكاراً أو رمزاً للمسيح لا يحصل على سفك الدم المطلوب لا بكثير ولا بقليل وتسقط الدالة الإلهية .

ولبس الايمان (الذى هو أمر روحى مبنى على اعمال حكم الحواس الجسدية عب ١٣ : ١) بذبيحة الصليب وحدها بكاف فى هذا الأمر لأنك أنت شخص اخر جئت بعد المسيح بنحو الفى سنة . والعدل يتطلب عقاب المذنب نفسه بعد وقوع الخطأ لاقبله وبذات أسلوب الوقوع ، بل أنت تنكرت للإيمان بألوهية المسيح القادرة أن تعطيك جسده للأكل فعلا وصرت مشاركا لليهود الذين كان يناقشهم فى كفر ناحوم بالاصحاح السادس من يوحنا .

(وثانيا) يقول الخارجون أن الخبز والخمر هما رمز لموت المسيح ، والرمز بحسب ما قرره الكتاب فى عب ١٠ : ٨

وأمثالها وبحسب ما يقرره البروتستانت أنفسهم(١) أنه يدل على شيء سيحصل مستقبلا فى ملكوت الله فيكونون إذاً بهذا الرمز يقولون بلسان الحال أن المسيح لم يمت بعد ، وهذا ضد عقيدتهم أنه جاء وتم الفداء . كما أنظع هذا التصادم .

(ثالثاً) فقد العضوية فى جسد المسيح :

الكنيسة هى جسد المسيح السرى فى العالم ورب المجد هو رأس ذلك الجسد ، وما أفراد الكنيسة إلا أعضاء فى ذلك الجسد لأنه بعد أن تكلم الرسول فى رسالته الكورنثوس الأول ص ١٢ عن علاقة الأعضاء الجسدية ببعضها وحاجة كل عضو إلى الآخر وبعد أن قال لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين ، عبيداً أم أحراراً .... الخ أى لا تفرقة عنصرية

(١) القواعد السنية فى تفسير الاسفار الالهية ص ١٦٢ للقس جيمس أنس الامريكانى .

١ كو ١٢ : ١٣ قال هكذا « واما أنتم لجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً ٢٢عب ٢٧ وهذا تبعاً لقول رب المجد نفسه فى يو ١٥ « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام وكل غصن فى لا يأتى بثمر ينزعه .. اثبتوا فى وأنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته أن لم يثبت فى الكرمه كذلك أنتم أيضاً ان لم تثبتوا فى . أنا الكرمه وأنتم الاغصان الذى يثبت فى وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير أو فى يو ٦ قبل ذلك أثبت باحرج عبارة أن الثبات فيه هو بأكل جسده وشرب دمه ع ٥٦ و ٥٧ لا مجرد الايمان به الذى يجب أن يسبق الاكل والشرب) لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً (أى شيئاً مقبولا أمام الله) ان كان أحد لا يثبت فى يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار.. الخ »

وفى الرسالة إلى افسس الاصحاح الخامس قال فى خطابه للنساء ع ٢٢ لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وفى كلامه للرجال ع ٢٨ كى يحبو نساءهم

كاجسادهم قال « فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » ع ٢٩ و ٣٠ وفى أماكن كثيرة بالوحى مثل يو ٣ : ٢٩ شبهت الكنيسة بالعروس والسيد المسيح بالعريس وكلنا يعرف العلاقة بين الرجل وامرأته والعريس وعروسه وأنها ليست قائمة فقط على تقارب الآراء بل بالاكثر على اختلاط وامتزاج جسديهما معا .

فما أجل وأعظم هذه العضوية فى جسد المسيح القائمة لا على الايمان وحده بل أيضاً على الاقتيات الروحى والغذاء الفعلى نفساً وروحا وجسداً من جسد المسيح ودمه لأننا كما قال الرسول أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه .

ونرى البروتستانت يهتمون بهذه العضوية ، ويحضون عليها فى عظاتهم ومؤلفاتهم ، ولكنهم فى نفس الوقت لا يعترفون بالاستحالة المقدسة فى التناول ويقولون أن

الخبز لا يزال خبزاً والخمر لا تزال خمراً(١) تلك الاستحالة التي بدونها لا يقتاتون بالمسيح ويصبحون أغصاناً جافة في الكرمة الحقيقية .

فما أشد هذا التنافر بين عقيدتهم في التناول وبين اهتمامهم وعقيدتهم عن العضوية في جسد المسيح السري وما أجلى الخطر الذي يتعرضون له بعدم الاقتيات بالمسيح له المجد.

(١) وهم صادقون في ذلك بالنسبة لما يعملونه لأن الاستحالة لا تتم إلا على يد كاهن مشرطن قانوناً أي برسوم الخدمة بوضع اليد المتسلسل من السيد المسيح الآن .

٩ — نزول السيد المسيح إلى الجحيم

— ٥ —

موضوع هام لعلاقته بخلاص النفوس التي انتقلت إلى العالم الآخر ممن رقدوا قبل الصلب وكانوا قد تمموا العبادة حسب الطقس اليهودي الرامز للعبادة المسيحية ذات الكمال عب ٨ : ٤ — ٧ ، ١٠ : ١ ومنهم الأنبياء والأبرار الذين ذهبت نفوسهم إلى الجحيم بطائلة الخطية الاصلية الجدية وماتوا على الرجاء بمجيء المخلص .

تعتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وسائر الكنائس الرسولية(١) اعتماداً على تصريحات الوحي المقدس أن

(١) العلماء الكنيسة الكاثوليكية رأيان في هذه العقيدة فبعضهم يقطعون بصحتها بقولهم (يجب علينا أن نؤمن بذلك إيماناً صريحاً) والبعض الآخر يرتابون فيها بقولهم (لسنا ملزمين أن نعتقد بذلك صريحاً إذ المؤمنون لا يدركون =

ربنا يسوع المسيح بعد موته على الصلب ذهبت نفسه الناسوتية الطاهره وهى متحدة باللاهوت المجيد إلى الجحيم وأخرجت نفسى آدم وحواء وجميع الانفس المسجونة هناك المائتين على ذلك الرجاء، وأصعد بهم إلى الفردوس كقول الرب وهو على الصليب للص اليمين «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس» لو ٢٣ : ٤٣

أما الكنائس البروتستانتية فترفض هذه العقيدة ونستنكرها مع أنها مؤيدة بنصوص كتابية عديدة وصريحة فى العهد القديم وفى الإنجيل .

أما عن التوافق الأرثوذكسى بينها وبين الوحى فحسبنا ذكر قليل من كثير .

= بسهولة معنى هذا النزول) اللاهوت الادبى للأب بطرس غورى جزء ١ ص ٥١ نقلا عن علم باللاهوت وبحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للأنبا مكاريوس مينا مجلد ٣ ص ٥١٢

(١) فقد جاء فى مز ١٦ : ١٠ فى معرض النبوة عن السيد المسيح قوله «لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية» (حسب طبعة بيروت . أول الترجمة حسب طبعة وليم واطس المطابقة لطبعة روميه القديمة «لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم» وبنفس النص فى الطبعة الكاثوليكية الحديثة مما يدل على أن كلمتى الهاوية والجحيم العربيتين ذات معنى واحد) وقال الرسول عن السيد المسيح فى أف ٤ : ٩ «وأما أنه صعد فى هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» التى هى الجحيم - أنظر م ٦١ من قانون الأرثوذكسية للمؤلف لتعرف مواقع الهاوية والجحيم واسماءها الأخرى مثل الجب والسجن . وقال أيضاً «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله ممانا فى الجسد ولكن محيى» فى الروح، الذى فيه أيضاً ذهب فكرز الأرواح التى فى السجن» ١ بط ٣ : ١٨ و ١٩

وقال بولس الرسول فى «رو ١٠ : ٦ و ٧» وأما البر

الذى بالايمان فيقول هكذا لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليصعد المسيح أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الاموات » .

وجاء بنبوة زكريا النبى وهو يخاطب ابنة صهيون عن السيد المسيح قوله فى ٩ : ١١ و ١٢ « وأنت أيضاً فإلى بدم عهدك قد اطلقت اسراك من الجب الذى ليس فيه ماء ارجعوا إلى الحصن يا اسرى الرجاء » .

(٢) أما من جهة التنافر فى العقائد الاخرى مع الوحى . فإن الوحى لا يوجد فيه أى تلميح أو نص صريح بأن السيد المسيح لم يذهب بروحه الناسوتيه إلى الجحيم ولسنا نعلم على أى أساس بنوا رفضهم لهذه العقيدة الجوهرية فى خلاص النفس الذين ماتوا قبل صلب السيد ،

* * *

أما التنافر والتوافق مع العقائد الاخرى فواضح كل الوضوح لأن كل المسيحية بما فيهم البروتستانت يعتقدون

أن الفداء الذى صنعه المسيح كامل فى طبيعته و يشمل كل الناس . ولكن حسب العقيدة البروتستانية لم يشمل نفوس الذين سبق موتهم قبل الصلب

وكذلك هذه العقيدة تناقض محبة الله الكاملة الشاملة نحو الجنس البشرى جميعه وعدالة التدبير الذى صنعه لأنه كما نزل إلى الأرض بالجسد لخلاص من هم فى الجسد ، فعدالته تعالى وكمال محبته تقتضى أن ينزل إلى الجحيم لخلاص من بالروح فقط ، كما تم ذلك فى العقيدة الأرثوذكسية يتوافق وتطابق كامل من شمول كل الناس وتوافق محبته تعالى الكاملة والعاملة وتطابق عدالة تدبير الخلاص السابقين على الصلب واللاحقين له .

ختام

والآن فى ختام هذا العرض السريع نوجه الخطاب إلى القراء الكرام كما وجه الرسول فى ١ بط قائلين « طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الاخوية العديمة الرياء

ذاكرين قول السيد المسيح فى صلاته الأخيرة للاب «قدسهم فى حقك وكلامك هو حق» وقوله لليهود الذين آمنوا به «أنكم ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم» وقوله عن نفسه «أنا هو الطريق والحق والحيوة» فنستريح بالخضوع للحق والتمسك به (خصوصاً فى هذه الأيام التى طغت فيها المادية على الدين وقواعده) تفرح القديسين كما فرح يوحنا الرسول بالمسيح غايته الحبيبة قائلا «وفرحت جداً إذ حضر اخوة وشهدوا بالحق الذى فيك كما انك تسلك بالحق ليس لى فرح اعظم من هذا ان اسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق» عالمين أن المتعصب هو من يضع عصابة على عينيه فلا يرى الحقائق، ولكن المحب الغيور على مجد الرب هو الذى يراها حينئذ لا يمكنه أن يسكت عن اذاعتها.

سائلين الرب أن يعمل بروحه القدوس فى كنيسته ويوحد عقيدتها كما كانت فى العصور الأولى ولربنا المجد الدائم.